محمود فوزى
إعترافات
مصطفى محمود
دار النشر هاتييه

محمود فوزى

اعترافات مصطفى محمود



مقدمة

هل دخل د. مصطفى محمود مؤخرا مستشفى الأمراض العقلية " الخانكة" هل ارتد عن الإسلام هل تنصر على أثر مرض خطير أصاب ابنته " أمل" التى رأت السيد المسيح فى المنام وقال لها : إذا لم يتنصر أبوك فلن تشفى أبدا فلما تنصرت شفيت ؟!

وإذا كان كل ما تقدم شائعات فمن هو صاحب المصلحة فى أن يروج لمثل هذه الشائعات .. هل هم خصوم ؟ .. أيد خفية تحاول أن تسقطه فى الخفاء ؟! هل للمخابرات الإسرائيلية "الموساد" أصابع وراء كل ماحدث له مؤخرا ؟!

ثم لماذا الشك أصلا فى فكر د. مصطفى محمود ؟! .. هل حين دخل كلية الطب ووقف أمام المشرحة أمام الجسد الميت وحاول أن يكتشف الموت من خلال الكيمياء والطبيعة ففشل وتجسدت حيرته فى السؤال الأزلى الأبدى : من أين وإلى أين؟! ماالذى قاد د. مصطفى محمود إلى الشك فى وجود الله سبحانه وتعالى .. ماهى الأسس التى استند عليها وجرفته بعيدا إلى بحار الشك المظلمة ؟! والذى استتبع أن يكّون د. مصطفى محمود جمعية

للكفار؟!

وإذا كان د. مصطفى محمود لم يرتدِ الجبة والقفطان فى حياته ولم يضع العمامة فوق رأسه أبدا فهو مع ذلك عالم إسلامى مستنير ... قلبه وفكره وضميره مفعم بالإيمان الكامل .. بعد أن هزمت شلالات النور جحافل الشك فى نفسه .

ففى شهر رمضان عام ١٩٥٦ اتهم د. مصطفى محمود بالإلحاد بعد صدوركتابه "الله والإنسان" وتمت مصادرة الكتاب بحكم محكمة أمن الدولة.

وعبر رحلة طويلة .. رحلة تأمل ومراجعة طويلة هادئة مع النفس .. بدأ د. مصطفى محمود هذه الرحلة بالفكر المادى المحسوس فأدرك من أول وهلة عجزه أمام الغيبيات فاستعان بالفلسفة فوجد أنها فى حاجة إلى فلسفة لتعينها ! .. فوقف أمام الأديان:

بوذا وزرا دشت وموسى وعيسى ومحمد ﷺ .. فوجد كمال الأمر كله في القرآن..وأدرك أن الأرض ثابتة تحت قدميه ،وأن نفسه تشع منها نورانية لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

وإذا كان د. مصطفى محمود قد استطاع أن يطرد الشك من نفسه فإن الأشواك كانت دائما فى طريقه تحاول أن تثنيه عن طريق

الإيمان .. لم يسلم من الشائعات التى - لحقت به مؤخرا - تؤكد على إلحاده وارتداده عن الإسلام ، بل أكثر من ذلك أنه قد أصبح نزيل مستشفى الأمراض العقلية ! وإذا ما حاول د. مصطفى محمود مفكرا ومجتهدا أن يفسر القرآن تفسيرا عصريا يواكب التقدم العلمى المذهل من حولنا اتهم بأنه يتحدث بغير علم وبأنه يغرى الشباب باسم العصرية ببدعة من بدع هذا الزمان !

لكن الرجل كان أقوى من كل ذلك بإيمانه الراسخ وعقيدته التى لاتلين .

إنها رحلة مع مصطفى محمود العالم والمفكر والأديب والإنسان .

رحلة طويلة تبدأ منذ ميلاده ليلة ميلاد المسيح عليه السلام سنة ١٩٢١ .. وقد ولد مصطفى محمود لتوأم لكن توأمه الذى كان يدعى "سعد" توفى بعد ميلاده بأيام.

وقد نشأ مصطفى محمود فى أسرة متوسطة حيث كان يعمل والده محضرا بمديرية الغربية بمرتب لا يتجاوز ٨٠ قرشا ارتفع إلى ٢٠ جنيها مع نهاية الخدمة حيث رقى إلى سكرتير فى مديرية الغربية .. ولايزال يتحسر مصطفى محمود على هذه الأيام التى شملتها

البركة ولم تعرف الضيق أو الحاجة لطيبة والده ورقة مشاعره وكرمه الكبير الذي شمل الأسرة الكبيرة حيث كان زواج والده من والدته هو الزواج الثالث لكليهما ! .. وقد ضمت الأسرة أولادهما عن أزواجهما السابقين .

ولم يكن الطفل مصطفى محمود مثل أقرانه وزملائه يجرى ويلعب ويلهو! .. كان منطويا .. يعيش بمعزل عن زملائه، وأصدقائه لظروف مرضه المتكرر فأطلق لخياله العنان كي يعوضه عن الانطلاق والجرى مع زملائه فكان يحلم دائما بأن يكون مخترعا أو مكتشفا مثل كولومبس أو ماركونى أو باستير ومن كثرة حبه للعلم وشغفه بهؤلاء العلماء أنشأ في منزله معملا صغيرا ليمارس من خلاله هوايته التي استأثرت بكل كيانه .

وإذا كانت شهادة ميلاد د. مصطفى محمود تؤكد على أنه من مواليد ٢٧ ديسمبر ١٩٢١ لكن الحقيقة أن د. مصطفى محمود ولد قبل ذلك بسبعة أيام فى ٢٠ ديسمبر ١٩٢١ ومعنى ذلك أنه من برج القوس وليس من برج الجدى!

وهذا يفرق كثيرا في الأبراج لدرجة أن أحد المنجمين ضرب للدكتور مصطفى محمود النجم وأجرى له الحسابات الفلكية مؤكدا

أنه من برج القوس .. وهو نفس برج كاتبنا الكبير نجيب محفوظ!
ومن مفارقات الأيام أن هذا المنجم قد تنبأ بما سيحدث لمصطفى محمود على مدى عشرين عاما .. تنبأ له بكل الوقائع التى حدثت له وفى تواريخها وكان مصطفى محمود يضرب كفا بكف ونبوءات هذا المنجم تتحقق تماما كما ذكرها ، حتى العمليات الجراحية التى تنبأ بها هذا المنجم تحققت فى تواريخها تماما .. وكذب المنجمون ولو صدقوا!
ولقد خفق قلب مصطفى محمود بالحب لأول مرة مبكرا وعمره لم يتجاوز سبع سنوات ! .. حين أحب ابنة الجيران عدلية التى كانت تتمتع بجمال باهر ولكنها مع ذلك كانت تنبهر بمواهب مصطفى محمود المبكرة حين يتجمعان مع أبناء البيت فى بير السلم حيث يتبارون لإبراز مواهب كل منهم .. وتعددت مواهب مصطفى محمود أمامها فكان يغنى ويقرأ القرآن بصوت الشيخ محمد رفعت ولا يكتفى بذلك بل كان يحكى حكاية من وحى خياله حيث كان مطلوبا من كل طفل أن يحكى قصة من بنات أفكاره وكانت حكاية مصطفى محمود هى التى تفوز دائما .. وكانت مكافأة ذلك نظرة ملؤها الحب والإعجاب من عدلية ! ولكن زملاء الشلة

اكتشفوا هذا الحب فى عيونهما فلم يجدوا طريقا للتخلص من مصطفى محمود سوى أن يضربونه علقة ساخنة

وبسبب المرض الذى لازم مصطفى محمود فى طفولته صمم على أن يدخل كلية الطب ليعرف أسرار المرض وعلاجه .. وليدرس أعقد ظاهرة فى هذا الوجود .. ذلك الإنسان !

ولهذا فقد أحب مصطفى محمود الطب وعشق المشرحة !

كان أول طالب يدخل المشرحة وآخر من يغادرها !!.. لدرجة أنهم أطلقوا عليه لقب المشرحجى !! ولم يستطع مصطفى محمود أن يفارق التشريح حتى فى إجازة الصيف ، ولهذا فقد اشترى نصف إنسان ميت بـ ٦٠ قرشا لدراسة التشريح عليه وحمله إلى منزله وهو سعيد بما يحمل ووضعه فى صحن من الفورميلين لكى ينشف .. فشاهدته أمه وأصابها الهلع والخوف وصرخت بأعلى صوتها :

أيه يابنى اللى جايبه دا .. ما هذه المصيبة ؟! فى منزلى بنى آدم ميت !!

حرام عليك .. وماذا يفعل أهله إذن حين يذهبون إلى القرافة .. ويجدون القرافة فاضية !!.

وأغلق مصطفى محمود عليه باب حجرته ووضع نصف هذا الإنسان

الميت تحت السرير أربعة أشهر !

وكانت النتيجة أنه كان يشم ويتنفس فورميلين فكانت أزمة صحية ونزلة شعبية لاتزال آثارها مصاحبة لمصطفى محمود حتى الآن .. فحنجرته سيئة من يومها !

ولقد تزوج د. مصطفى محمود فى حياته مرتين: الأولى كانت عن حب بعد تجربة مريرة مع مرض غامض احتار فيه الأطباء وشخصه البعض منهم بأنه مرض خطير سوف ينهى حياة مصطفى محمود بعد ستة أشهر فقط !

وذهب د. مصطفى محمود إلى الطبيب الكبير د. أنور المفتى يستغيثه ويطلب منه فتح بطنه لكشف حقيقة هذا المرض الغريب حيث لم تكن المناظير الطبية قد اكتشفت بعد ؟! وضحك يومها د. أنور المفتى وقال له :

لولا أنك دكتور ومسئول ماسمعت كلمة واحدة منك ولهذا سوف أفتح بطنك!

وتنفس مصطفى محمود الصعداء بعد إجراء العملية حين اكتشف أنه غير مصاب بهذا المرض اللعين !

ولكن طلب منه د. أنور المفتى أن يغير حياته وأن يأكل كل ما كان

ممنوعا من أكله وأن يتزوج إن لم يكن متزوجا !
وكانت «سامية» هى أول من اتصلت به بعد تجربة هذا المرض اللعين وبعد نصيحة د. المفتى له .. بدأت العلاقة بمحادثات تليفونية ثم التقى بها .. كانت جميلة جدا أحبها وأحبته .. وبعد حب عنيف تزوجا..وأنجبا «أمل» و «أدهم» .. ولكن تجربة الزواج كانت مريرة لم يستمر زواجهما أكثر من عشر سنوات فطلقها وترك لها الشقة بكاملها وخرج بالبيجاما؟!
ثم صام عن الزواج أربع سنوات وعاد ليقترن بزوجته الثانية «زينب» التى بدأت بالالتقاء فى الفكر والهدف وانتهت بعد أربع سنوات باختلاف الهدف والطلاق !
وإذا كان مصطفى محمود قد صودر له كتابه الأول «الله والإنسان» بحكم محكمة أمن الدولة العليا .. فإنه قد تعرض للرفد وللمنع من الكتابة عاما بأمر عبدالناصر فى الستينات بعد أن كتب مقالته الشهيرة «هتلر والنازية» فى مجلة صباح الخير ويومها دخل مصطفى محمود على إحسان عبدالقدوس يستوضح سر ماحدث ؟!
فقال له إحسان :
خليك فى البيت ماتكتبش!

فقال له مصطفى محمود :

إيه يا إحسان اللى حصل ؟!

فكان رده :

دى أوامر !

وجلس مصطفى محمود عاما كاملا فى منزله وكتب أيامها من وحى الديكتاتورية ثلاث مسرحيات هى : « الزلزال » و « الإنسان والظل » و « الإسكندر الأكبر »

وبعد حوالى عام ، وبعد أن توسط الشاعر الكبير كامل الشناوى استدعى محمد حسنين هيكل مصطفى محمود إلى مكتبه وقال له :

ـ أيه أنت استويت ؟! وكأنه لحمة مشوية !!

ثم قال له هيكل : ارجع واكتب تانى ؟!

وكان سؤال مصطفى محمود لهيكل طبيعيا :

أريد أن أعرف لماذا منعت من الكتابة أصلا ؟!

وما هو المطلوب منى أن أكتبه والمطلوب منى أن يبتعد سن قلمى عنه ؟!

فقال له هيكل فى لهجة حاسمة :

لا تسأل ...كل ماهو مطلوب منك الآن أن تكتب فقط ؟!

ولقد أحدثت هذا العبارة نوعا من الرقابة على سن قلم مصطفى محمود ، ولهذا فإن رأيه الشخصى وفكره المقتنع به كان يكتبه ولكنه يضعه فى سحارة ، ولهذا كتب مصطفى محمود كتابه الشهير « الإسلام والماركسية » فى عهد عبد الناصر ولكنه بالطبع لم ينشره وقتها .. حفظه فى السحارة حتى رحل عبدالناصر وجاء عصر السادات فأخرج مصطفى محمود الكتاب من السحارة ونشره مسلسلا فى صباح الخير قبل أن يصدره فى كتاب !

وإذا كان مصطفى محمود يهاجم عصر عبدالناصر بأكمله على أنه إهدار لحرية الإنسان ونموذج للدكتاتورية والنظام الشمولى الفاشل فإنه ـ من وجهة نظره ـ أن عصر السادات كان عصرا نموذجيا وأن الانفتاح كان ضرورة اقتصادية وتاريخية وأن زيارته لإسرائيل كانت عبقرية سياسية.

إن د. مصطفى محمود يرسم لأول مرة خريطة لأعماقه .. ويسمح بالدخول فى منطقة من حياته مكتوب عليها لافتة كبيرة « ممنوع الاقتراب والتصوير » .. منطقة من حياته لم يتجول فيها أحد من قبل لأنها « منطقة ألغام » !.

ويفتح صندوقه الأبنوسى ويستخرج منه لفائف الذكريات التى تنشر

لأول مرة .

ماهى تجربته الحقيقية مع الشك - والتى لم تنشر من قبل - كيف تعلم الشك على أيدى شيخ سيدى عز بطنطا؟! ولماذا كون جمعية للكفار؟!

ماهى تجربة مصطفى محمود مع الأفيون والخمور وتجربته الأولى مع الجنس قبل الزواج؟!

ولماذا تزوج د. مصطفى محمود مرتين وفشل فى زواجه فيهما على الرغم من أنه كثيرا ما يضع حلولا للمحبين والمتزوجين ، بل وله كتاب شهير فى هذا الموضوع هو « ٥٥ مشكلة حب » .. هل باب النجار مخلع كما يقولون .. أو أن أعصابه أصبحت لا تتحمل أية زوجة ؟!

ولماذا كانت توقظه زوجته الأولى فى منتصف الليل وتنهال عليه ضربا؟!

إنها اعترافات مصطفى محمود ..

اعترافات سرية للغاية .. اعترافات سرية جدا !

محمود فوزى



رئيسا لجمعية كفار
وملحدا على سجادة صلاة !

- كونت جمعية للكفار وعمري ١٢ عاما !
- أفتي شيخ الجامع بطريقة لقتل الصراصير فعرفت طريقي إلي الشك !
- أثني المفتي علي كتابي « الله والإنسان » ثـــم فوجـئت بمصادرة الكتاب !
- الشيوعيون رفعوني إلي السماء فلما اختلفت معهم قالوا إنني درويش أهبل !
- المخابرات الإسرائيلية تتمني أن يشتبك المســلم مــع المسيحى في مصر !
- لا أستبعد أن يكون « الموساد » وراء الشائعات التي تحيط بـي !



● د .. مصطفى محمود .. ما هي حقيقة الشائعات التي ترددت بين الحين والحين بأنك أصبت بلوثة عقلية وانتابتك حالة هستيرية نقلت على أثرها إلى مستشفى الأمراض العقلية «الخانكة» وأنك غيرت دينك لأن ابنتك «أمل» مرضت مرضا خطيرا ورأت السيد المسيح في المنام وقال لها: إن لم يتنصر أبوك فلن تشفى أبدا ولما تنصرت شفيت؟. ولماذا تلاحقك الشائعات دائما كل فترة ؟!

●● أقول لك أكثر من هذا فهناك شائعات أخرى غير التى ذكرتها فقيل أيضا: إننى سافرت كندا وهناك غيرت دينى ، ثم قصة شائعة فى استراليا وهناك من قال : إننى فى الدير أتعبد مع الأنبا شنودة ! وكلها شائعات لا أساس لها من الصحة مطلقا كيف أكون مسيحيا وأنا أعيش فى جامع وأصلى جماعة مع إخوانى المسلمين . .

صدقنى كلها شائعات لادليل أو أثر لها مطلقا . .

لا أعرف ماذا حدث بالضبط . . أشياء مختلفة وغير مفهومة خرجت جميعها فى وقت واحد . . والناس فى مصر من طبيعتهم أنهم يصدقون أى شىء على الإطلاق . . ثم ضرب لى الناس تليفونات ليطمئنوا على حقيقة مايقال فيفاجئون بأننى : أرد عيهم ،

والبعض جـاء يصـلى الجـمعة فى الجامـع فيفاجـئون بأننـى أصلى معهم.

● **وما هو مبعثها الحقيقى ؟!**

●● هى اختلاف صرف ولاتفسير لها سوى أنها من وحى خيال الخصوم يرون أنه ليس هناك رد يمكن أن يردوا به على ما أكتب سوى هذه الشائعات لأنهم لا يستطيعون مواجهتى!.

● **من تتوقع أن يروج لمثل هذه الشائعات ؟!**

●● الحقيقة إن الرموز الإسلامية فى مصر مستهدفة وأنا واحد منهم .. والعدو إذا عجز عن مواجهتك أو افتقد الوسائل التى ينالك بها فسوف يوجه لك طعنة فى الظهر .. فى الخفاء .. عن طريق الشائعات .. يروج أى كلام يحيق بك الضرر . . خاصة وأنت تعلم أن لى خمسة كتب عن الشيوعية ويمكن أن تتصور أنها حالة ميئوس منها بل إنها لفظت أنفاسها بالفعل .. ونكس الشيوعيون وجوههم فى الأرض . .بعد أن انتهى كل شىء ولم يعد هناك مايقال .. فلن يبقى إذن إلا هذه الشائعات ..

أيضا يمكن أن يكون مصدر هذه الشائعات "الموساد" الإسرائيلى ..

والحقيقة أن المخابرات الإسرائيلية تبدو أصابعها وراء شائعات كثيرة ، والموساد حريص على هذا ويتمنى أن تتحول مصر إلى لبنان . وأن يشتبك المسيحى مع المسلم ، وواضح أنهم يركزون على مسألة المسلم والمسيحى بأشكال مختلفة فى مصر ولكن الحمد لله تفشل محاولتهم .. ولكن بلا أدنى شك فإن مصر مستهدفة دائما .

● هل هم خصومك .. أيدى خفية تحاول أن تسقطك في الخفاء ؟!.

●● نعم . . لابد أن يكونوا خصوما .. من الجماعات التى أهاجمها ، ومن المعروف أننى أهاجم اليسار والشيوعية والناصرية وإسرائيل فمن الممكن أن يكون أحد من هؤلاء لا يجرؤ ولا يستطيع الوقوف فى مواجهتى فلم يجد أمامه إلا أن يسلك هذا الطريق .

● ما الذى أسفرت عنه تقارير جهات الأمن فى مصر عن هذه الشائعات ؟!

●● لم يستطع أحد أن يضع يده على شىء ... فالحقيقة أن هناك جبهة إشاعات فى مصر ... جهاز منظم للشائعات لكن جانبهم التوفيق هذه المرة .. فلايعقل أن تقول : إننى فى كندا واستراليا

والخانكة فى وقت واحد وأنا فى الحقيقة موجود فى الجامع فى مصر فهذا لن يخيل على أحد فى مصر على الأقل، فمن الممكن أن يخيل على الذين خارج مصر من الدول العربية ، وحتى إذا تحقق لهم ذلك فلن يستمر أكثر من شهر أو اثنين على أكثر تقدير !.

● هل كنت تتوقع اغتيالك بعد هذه الشائعات .. هل كان يتبعك رجل أمن مسلح تحسبا لأى مكروه أو ضرر يمكن أن يصيبك؟!

●● لدينا حراسة فى المسجد .. والمساجد دائما فى حراسة ونحن أكثر من مجرد مسجد .. نحن مركز إسلامى .. مركز طبى يضم أحدث الأجهزة الطبية العالمية .. ومركز توعية متعدد الأنشطة ، وبالطبع كل هذا عليه حراسة .. وبوجه عام فإن رؤساء التحرير فى مصر عليهم الآن حراسة ولكن أنا من أشد المؤمنين أولا وأخيرا بأن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى .

● هل استندوا فى شائعتهم على كثرة اطلاعك وقراءاتك فى الأمور الدينية ؟ هل المؤمن يمكن أن يغير دينه؟!

●● مطلقا .. وهناك فرق .. فالإيمان عن قناعة له ركائز من العقل والاقتناع ... ومن أجل هذا أنشأت هذا المسجد وعشت فيه ..

ولكن هناك من يكره ذلك .. هناك من يود أن يطعن الرموز الإسلامية فى مصر طعنة نجلاء وأنا بالطبع واحد منهم ..

● **د. مصطفى محمود ألمح آثارا على يدك لجرح قديم .. هل هذا من آثار الشيخ محمود الذى كان يضربك لهروبك من الكتاب لتجلس على الترعة ولذلك لم تحفظ القرآن .. هل هذا أثر من آثار الشك أنك لم تحفظ القرآن كاملا ؟!**

●● كان زمان حين يقوم الشيخ محمود بتحفيظنا القرآن ونخطئ كنا نتعرض لعصاه ولكن ليس هذا هو الموضوع أبدا ، ولكن قصة الشك وتاريخها أصلا مرتبطان بطبيعة تكوينى الفكرى .. طبيعتى كمفكر .. فمن طبيعة المفكرين أن يعيدوا النظر فى المسلمات .. إنهم يبدءون من البداية الأولى .. دائما يبدءون من صفحة بيضاء فهم على الدوام ضد المسلمات فهذه هى الرحلة الطبيعية ؛ تعنى شكا منهجيا وليس شكا عناديا فهناك فرق بين أن يعاند الإنسان أو يجادل وبين ألا يسلم بالبديهات أو يبدأ بالمسلمات بأن يكون منهجيا.

● **د. مصطفى محمود .. كيف كانت رحلتك من الشك إلى**

الإيمان ؟ مع أنك بدأت الصلاة فى سن مبكرة فى السادسة من عمرك ودون إكراه من أحد .. هل حين دخلت كلية الطب ووقفت أمام المشرحة أمام الجسد الميت وحاولت أن تكتشف الموت من خلال الكيمياء والطبيعة ففشلت وتجسدت حيرتك فى السؤال الأول : من أين وإلى أين ؟!

●● بالعكس .. الوقفة أمام الموت والوقوف أمام المشرحة كانت بداية عودتى إلى الإيمان .. لأن المفكر بطبيعته يعيد النظر دائما فى الأشياء وهو يختلف بالطبع عن الذين ينظرون إلى الأشياء بنظرة قلبية بلا أى شك .. لكن الإنسان حين بدأ فهو يبدأ بالفعل بالمسلمات الأولية التى أمامه .. ولكن ماهى الأشياء التى تقع تحت حسه هى بالطبيعة الأشياء التى تقع تحت حسه .. التى يراها ويسمعها .. فالحواس تصبح حينئذ هى أدواته القطعية للوجود المادى من حوله .. هذه هى البداية . إذن المنهج فى البداية علمى صرف، ثم بعد ذلك التكوين والتربية العلمية الصرفة ..

فالطبيب تربيته العلمية صرفة فهو لا يعتمد على الغيب مثلا ولكن يعتمد على المحسوسات ، فيقيس الحرارة والنبض ، فالعلم يبدأ من

المحسوس وكذلك الفكر المادى .

ولكن الفكر المادى تطور بعد ذلك إلى فكر جدلى أو فكر ماركسى لايؤمن إلا بالدنيا التى من حولنا فقط .

وهذا هو السر الحقيقى فى أننى بدأت بالفكر المادى لأننى بدأت بالمسلمات الأولية العلمية ومن هنا بدأت أتعاطف مع الفكر المادى فى كتابى الأول «الله والإنسان» بل وتعاطفت مع الماركسيين على الرغم من أننى لم أدخل يوما معهم أو حتى ضدهم فى تنظيم .

لكن حدث ذلك بحكم البداية .. بحكم تعاطفى مع الموقف العلمى والمادى ،والفكر المادى الجدلى، حدث ذلك حين كتبت هذا الكتاب فى عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ثم صدر بعد ذلك فى عام ١٩٥٦.

ولكن منذ عام ١٩٥٧ دخلت فى مرحلة جديدة وطويلة مع النفس .. مراجعة طويلة هادئة .. تلك المراجعة التى ركبت فيها جميع المواصلات والوسائل الممكنة بداية بالعلم .. والفسلفة وعلم النفس، ثم بعد ذلك الأديان بداية بالفيدات الهندية وزرادشت وانتهاء بالأديان السماوية حتى المنتهى .. القرآن الكريم .. وحين وصلت إلى القرآن

الكريم كانت هناك كل هذه الخلفية الطويلة .. وأقولها بكل صدق .. وجدت كل هذا فى عباءة القرآن الكريم فهى رحلة طويلة والذى يصل إلى نهايتها يقف على أرض صلبة بأقدام ثابتة وقلب مفعم بحب الله سبحانه وتعالى .. قلب لا أثر فيه لأدنى شك مطلقا..

● د. مصطفى محمود .. أنت المفروض أنك مؤمن .. ما الذى قادك إلى الشك فى وجود الله .. ما هى الأسس التى استندت عليها وجرفتك إلى بحار الشك المظلمة ؟

●● إنها قصة قديمة جدا حين كنت أخطو أولى خطواتى .. وكنت ماأزال مراهقا صغيرا لم أتجاوز ١٦ عاما .. بدأت برفض المسلمات .. لم أكن أريد أن آخذ شيئا عن أبى وأمى ، ولكن كنت أريد أن أجتهد اجتهادا شخصيا .. وبدأت بالمحسوس الذى أمامى ولم أبدأ بما وراء الطبيعة وقد تمثل هذا المخصوص فى الطبيعة «الفيزياء» .. فوجدت الفيزياء والكيمياء عاجزة عن أن تفسر لى شيئا .. عاجزة عن أن تفسر لى الحياة والموت .. ومن أجل ذلك استعنت بالفلسفة فوجدت أنها فى حاجة إلى فلسفة لتعينها !

فبدأت بالأديان .. بوذا وزرادشت وعيسى وموسى ومحمد .. فوجدت كمال الأمر كله فى القرآن .. وكانت هذه هى المرحلة الطبيعية .

● **إذا كنت قد اتجهت بقلبك إلى الدين فما هو السبب الحقيقى الذى قادك إلى الشك واستتبع أن تكون جمعية للكفار ؟! ثم تخرج بكتابك "الله والإنسان" ، الذى تمت مصادرته لاعتراض الأزهر الشديد عليه ؟**

●● منذ طفولتى المبكرة شعرت بقلبى وعقلى يتجهان إلى الدين .. وتستطيع أن تقول : إننى فى الفترة ما بين سبع سنوات إلى اثنى عشر عاما كنت متجها للدين بكل حواسى ومشاعرى .. أصلى الفروض جميعها فى المساجد . وأستمع بإنصات واهتمام شديدين إلى الأئمة والشيوخ والدعاة فى المساجد وكنت أتردد فى هذه الفترة على مسجد وضريح سيدى عز مع صديق لى يدعى «فرج» نصلى الفروض والسنن ونستمع إلى وعظ شيخ الجامع وندون مايقول ونحضر المولد وحلقات الذكر إلى أن جاء يوم قال لنا فيه شيخ الجامع :

«شوفوا ياولاد.. أنا سأقول لكم على طريقة تقضون بها على الصراصير والحشرات فى البيت؟! .. طريقة دينية عظيمة جدا .. كل واحد يفتح الكراسة وسوف أملى عليكم هذه الطريقة العظيمة» !!

وأخذ يملى علينا «كلام خنفشارى» !!.. ورقة عبارة عن مزيج من الآيات والطلاسم ! ... ثم قال لنا الصقوا هذه الورقة على الحائط وسوف تكتشفون بأن الصراصير سوف تموت صرعى على هدى هذه الطريقة الدينية العظيمة ! .. وبالطبع فقد فرحت من كل قلبى وكتبت كل ماقاله بالحرف الواحد ولصقته باهتمام شديد على الحائط منتظرا النتيجة الناجعة . لكن خاب ظنى وأصبت بإحباط شديد فقد تزايدت الصراصير وأصبحت أضعاف ماكانت قبل طريقة الشيخ بل الأدهى من هذا أن الصراصير اتخذت من الورقة التى أمر بها الشيخ ملجأ لها !! .. فمن يومها أحسست أن الرجل نصاب كبير ! وبدأت أشك فى كل شىء ليس فى هذا الشيخ بعينه ولكن فى كل ما حولى !

وكانت هذه هى بذرة الشك التى زرعت فى نفسى ! زرعها شيخ

وواعظ سيدى عز .. لم أشك فى الورقة التى دعا إليها أو فى حديثه ولكن اعترانى شك فى كل شىء .. كان عمرى وقتها ١١ سنة بدأت أحاور وأرفض وبدأت تحدث فجوة بينى وبين الدين وتزايدت هذه الفجوة تدريجيا لدرجة أننى كونت جمعية كفار وعمرى ١٢ عاما !! .وضربونى علقة ساخنة فى الجامع !!.

كان تيارا موجودا على الساحة أيامها يؤكد هذا الاتجاه ممثلا فى كتب دارون وسلامة موسى وشبل شميل .. كتابات شبل شميل كانت تدور حول دارون والدارونية والتطور ، وسلامة موسى كان يغذى نفس الأفكار .. كانت ثورة على الدين .. وأنا سرت على هذا الطريق .. وهذا المنهج ..

كنت أقضى يوميا ٥ أو ٦ ساعات فى مكتبة البلدية وأقرأ فى مختلف الاتجاهات وأدخل فى مناقشات ومجادلات وخناقات تنتهى بالضرب والجرى خاصة بعد إنشاء (جمعية الكفر) هذه التى كانوا يعتبرون أفكارها دعوة للفكر .. وكان معى فى هذه الجمعية صديق مسيحى اسمه "جرجس سعد" .. وخطورة هذا .. أن هذه الجمعية كانت ضد الأديان ! كانت مرحلة غريبة فى حياتى كلها على

الإطلاق !.

ولو تأملت كيف ولماذا تكونت جمعية الكفر .. أو ما هو مبعث شكوكى فى الأديان ستجد أن شيخا واعظا هو الذى قادنى إلى الشك ! فقد ولدت شكوكى على يد شيخ !! والسبب فى هذا أنه تحدث بجهل وخطأ .. وهذه أسوأ طريقة ! فلاشك أن الوعظ الخاطىء يمكن أن يقود إلى كارثة مروعة فالذى قاله شيخ سيدى عز لايمت للدين بصلة مطلقا فهو لاشك رجل كذاب ودجال ! على أية حال فقد امتد هذا الموقف شوطا طويلا ... إلى عام ١٩٥٥ حين كتبت كتاب (الله والإنسان) ونشرته مسلسلا فى مجلة روزاليوسف .. ويومها استدعوا إحسان عبدالقدوس وأجروا معه تحقيقا كيف ينشر مثل هذا الكلام فى مجلته !! وكان رد إحسان عليهم : أنا أؤمن بالحرية .. وأعطى هامشا للحرية للكتاب فى مجلتى .. فمن الجائز أننى لاأتفق مع مصطفى محمود فيما يكتب لكنه حر فيما يقول ولاأستطيع أن أمنعه من أن يقول رأيه ومن يرد أن يرد عليه فله حق الرد .

ومن الطريف أن دارا حكومية هى التى نشرت هذا الكتاب هى دار

الجمهورية للنشر وكان يشرف عليها وقتها أنور السادات : وقد حقق هذا الكتاب رواجا كبيرا وأرقاما قياسية فى التوزيع ولكن وصلت بعض النسخ منه إلى علماء الأزهر فهاجوا وماجوا وقدموا شكاوى وتم مصادرة النسخ المتبقية من الكتاب وقدمت للمحكمة واختاروا أيامها شهر رمضان بالذات للمحاكمة ليشددوا الحكم .

واستعنت أيامها بالمحامى الشهير محمد عبد الله الذى برع فى تخصصه فى جرائم النشر وقد تطوع بأجر رمزى لإيمانه المطلق ببراءتى ولرفضه المطلق أيضا لما كان يحدث من بوليسية وقمع وقهر وإرهاب ودكتاتورية ومصادرة الكتب. وأذكر أنه يومها قال لى ياابنى ماكتبته فى كتابك هذا يقرأه كبار الصوفية وتصادف أيامها أيضا أن قال لى كامل الشناوى عبارته الشهيرة حين قرأ الكتاب :

ياابنى أنت تلحد على سجادة صلاة !.

نفس المعنى قاله محمد عبدالله المحامى ولكن من خلال سلسلة مرافعات استند فيها على أقوال كبار مشايخ الصوفية والتى تتشابه كثيرا مع أقوالى .

كانت المحاكمة سرية فى حجرة مغلقة وقد وقف محمد عبدالله

يترافع فيها بالساعات والقضاة يستمعون وقد ارتفق فيها واستند على أضابيز الصوفية كلهم .

وفى نهاية الأمر أفحم القضاة الذين لم يجدوا بدا إلا إرضاء عبدالناصر ولهذا فقد أصدروا الحكم بدون حيثيات واكتفوا بالمصادرة دون عقاب .. والغريب أن المفتى كان قد قرأ هذا الكتاب وأبدى فيد رأيه بصراحة قائلا : إن هذا أسلوب يبشر بكاتب كبير وعالم وربنا يهديه .

وكان هذا اعترافا رسميا من الدولة بدور هذا الكتاب !

● لماذا الشك إذن .. هل لتكوينك الداخلى الذى أقرب ما يكون إلى طبيعة المفكر ؟.

●● مسألة شكوكى فى الحقيقة ورد فعلى لما حدث تعود فى حقيقة الأمر إلى تكوينى الداخلى الذى هو أقرب ما يكون إلى المفكر ، فلأن واقعة الدجل التى قام بها شيخ وواعظ سيدى عز وقعت على إنسان بطبيعته مفكر كان رد الفعل المباشر لها هو ماحدث لى .. أما إذا كانت نفس هذه الواقعة تلقاها إنسان عادى .. كان رد فعله المباشر هو أنه سيقول : إن هذا الشيخ نصاب ودجال وينتهى الأمر عند هذا الحد فقط !.

● وماذا كان شعورك حين انتابك الشك ؟!

●● أنا عمرى ماشكيت فى وجود الله سبحانه وتعالى ... وأنه الواحد الأحد القهار ... ولم ينتابنى الشك مطلقا فى القدرة الإلهية وإنها تدير هذا الكون الكبير من حولنا وأن هذا الكون باتساعه الكبير هو خير برهان ودليل على وجود الخالق الأعظم فهو يفصح ويثبت ويبرهن بل ويهتف (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وإنما نوعية الشك فى مسألة القضاء والقدر والجبر والاختيار والجنة والنار ونوع الخلود وشكله ومظهره . وكان رجال الدين يعتبرون أن مجرد التفكير فى مثل هذه المسائل يعتبر الكفر بعينه .. وأنا لم أكن كافرا !.

وهذا هو السبب فى أن كامل الشناوى قال لى :

أنت تلحد على سجادة صلاة .

قديما كانوا يفكرون ويتعمقون فى مثل هذه الشكوك دون أن يعرضوا للشنق وهى قضايا الجبر والاختيار .. والقضاء والقدر .. والجنة والنار ... والبعث والخلود ... وأحياناً كنت أفكر وأتساءل : هل كان هناك ضرورة أن ينزل الله سيدنا جبريل شخصيا .. النبى

ﷺ ؟ .... طيب ما كان يمكن إلهامه مثلما ألهم الفنانين والموسيقيين والعلماء فى لحظات الإبداع والاختراع ؟ ما هو إلهام أيضا ؟! كنت دائما أفكر فى مسألة الوحى ولماذا كانت بهذا الشكل بالذات ؟!!

ولكن كل هذه المسائل والقضايا تغير فيها تفكيرى تماما بعد بحث وتفكير كبير، لأن الله سبحانه وتعالى حين اختار هذا النوع من الوحى كان هناك سبب جوهرى فلابد أن يميز الله سبحانه وتعالى رسوله عن بيتهوفن وشوبان !.. فالرسول جاءته الكلمة على طبق من الفضة كلمة ... كلمة ... وحرفا ... حرفا مع إطالة التفكير والتدبر والتعمق فى آيات القرآن . وأحسست أن القرآن كتاب عجيب .. لا تستطيع أن تحذف كلمة منه أو تضع كلمة له ، بل ولاتحذف حرفا منه أو تضيف حرفا إليه .. القرآن جامع مانع .. نسيج وحده.. دستور للبشر أجمعين فى كل زمان ومكان .

● حين بحثت فى الأديان .. ماهى السمة المشتركة التى توقفت عندها؟

●● حين قرأت كل الأديان أحسست أنها جميعا تتحدث عن شىء

واحد لاشك فيه .. لكن يبدو فعلا أن الأديان القديمةحين طال عليها العهد دخل عليها التحريف ودخلتها مصالح الكهنة ، فالكهنة هم الذين خلقوا كل هذه الفروق بين دين ودين ! لأن كل واحد منهم يريد أن يوظف الدين لمصالحه ! ... لأن الديانة حتى فى مصر الفرعونية القديمة كانت توحيدية وأبلغ دليل على ذلك هو (كتاب الموتى) ... إذن من أين جاء كل الـ ٤ آلاف إله الموجودين ؟!

الإجابة: جاءوا من الكهنة الذين يريدون أن ينشئوا معابد باسم الإله فلان والإله علان ويلموا القرابين على أساس ذلك ... إذن المسألة مصطنعة .

فكلما مات نبى خرج أناس منتفعون حرفوا فى الملة لكى يستفيدوا ، ويجمعوا الضرائب ، ثم جاء بعد ذلك الملوك والسياسات التى نعرفها الآن والتى زادت الأمر سوءا !!

● **العلمانيون يزعمون بأن العلم يتناقض مع الإيمان ولهم فى ذلك مقولة شهيرة تقول : كيف أسير إلى الأمام وأنا ألتفت إلى الخلف ؟**

●● أبدا .. هذا هو الخطأ الكبير ولكن العكس هو الصحيح فالعلم

طريق إلى الله سبحانه وتعالى ، وكلما تعمقت فيه قادك إلى الله لأن أفضل طريق إلى الله هو أن تعرف مخلوقاته سوف تتأكد من أنه لايمكن أن يكون خالقها إلا الله سبحانه وتعالى .

● د. مصطفى محمود .. هل تذكر عبارة الصوفى ابن عبد الجبار النفرى عن ربه التى يقول: فيها أنا يستدل بى .. أنا لا يستدل على) ...هل الله محتاج إلى البراهين أم أن الله هو برهان الأشياء وحجة الحجج؟

●● التأكيد .. الله هو برهان الأشياء وحجة الحجج ووجود الله هو الرصيد الفعال للعمدة والسند والمستند .. ومن غير وجود الله لايبقى لأى شيء مستند .. فهو الرصيد الفعلى والمنطق اللذين من خلالهما نتعرف عليه .

● د. مصطفى محمود .. حين صدر كتابك «الله والإنسان» فى مثل هذه الأيام .. فى شهر رمضان عام ١٩٥٦ تمت مصادرته لأنه تعالت أصوات كثيرة تؤكد أنك ملحد .. واتصل بك كامل الشناوى وكان رئيسا لتحرير الجمهورية وقتها وقال لك : لقد قرأت الكتاب فوجدت أنك تلحد فوق سجادة صلاة وإن الرجل المسلم موجود بين

سطور كتابك ؟!

●● هذا صحيح فقد صودر الكتاب بحكم محكمة أمن الدولة .. وحين صدر هذا الكتاب فى البداية فوجئت بمحمود أمين العالم يكتب مقالة يمجد فيها بظهور كاتب موهوب مجيد هو شخصى ولكن عدلت وعرفت الطريق الصحيح وكاد هؤلاء الناس أن يفتكوا بى ، اتهمونى بالردة الاجتماعية والنكسة الفكرية . وهذا يدلك على أن هؤلاء الناس ليسوا مخلصين بالمرة وأنهم يكيلون وليس لديهم مكيال واحد للعدل.

إذا قلت ما يريدون فأنت زعيم وإن قلت على غيرهم هداهم فأنت مرتد. أذكر أننى كتبت قصة فى صباح الخير عن رجل زبال فأصبحت بأقلامهم أعظم كاتب .. أصبحت تشيكوف عصره .. بل قيل عني يومها أن تشيكوف قد ظهر فى التاريخ من جديد ، وأنا نفسى كنت مندهشا لإعجابهم بهذه القصة بالذات برغم أنها كانت لاتعدو أن تكون قصة عادية للغاية ، ، بل لم يقتصر الأمر على ذلك فقد وضعوا القصة فى سلسلة اسمها "الغد" ووصفوها بأنها من عيون الأدب . ولهذا حذفت هذه القصة من كل

مؤلفاتى بعد ذلك ولم أدخلها أى مجموعة قصصية.

● **لقد اتهموك بعـد ذلك اتهامـــات كثيرة منهـا الردة الفكرية ؟!**

●● لقد كانت مدرسة .. بل قل مدفعية ظهرت وقتها .. عبدالعظيم أنيس ومحمود أمين العالم .. كانت مدفعية إرهابية من أجل أن يسير الكتاب كلهم فى طابور واحد .. ومن أجل أن ينادى الكتاب كلهم بالاشتراكية العلمية والشيوعية والماركسية وكتب الحفاة .. وإلا لا يصبح من يكتب على هواهم أديبا !!

لقد اكتشفت حقيقة ما يحدث من حولى ، وأن اليسار عبارة عن تنظيم دقيق إذا صادف فى طريقه كاتبا يميل ولو من بعيد إلى أفكارهم فإن مهمتهم تكون والحالة هذه: هى استقطابه ودفعه فى طريقهم لكى يعمل أكثر !.

على أية حال ... أنا بعد هذا الكتاب بدأت أعيد النظر فى كل شيء من حولى ، وأوله هذا الكتاب الذى ألفته فوجدته مليئا بالثغرات ولايفسرنى ، خاصة أن الفكر الاشتراكى يحاول استقطابى وتتويجى زعيما .. وأنا بالطبع لم أنضم لأى تنظيم لهم ولم أدخل أية كوادر يسارية معهم .. والحقيقة أننى بعد أن قرأت بإمعان

ماركسى لم أقتنع مطلقا بما يقوله وأحسست أن هناك خطأ ما فى كتاباته،ولهذا حين دخلت فى حوارات ومجادلات مع محمود أمين أفحمته وفندت آراءه خاصة فى الندوة التى عقدت أيامها فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ويومها سحبت البساط من تحت قدميه وقال له زملاؤه بعدها :

أرأيت ماذا فعل بنا الرجل الذى امتدحته ورفعته إلى عنان السماء السابعة ؟! .. لقد اتضح أن مصطفى محمود هذا درويش أهبل .. سوف ينتهى به الحال أن يجلس على الرصيف أو يجلس أمام أحد الجوامع زعيما للمهابيل !

.. إنك باحتضانك لهذا الرجل ودتنا فى داهية !!

وبدأ بينى وبين نفسى حوار طويل وقرأت كل ما كتب فى الفلسفة وعلم النفس بدءا من سقراط إلى أفلاطون وأرسطو وهيجل وانتهاء بكارل ماركس ووليم جيمس ، وتعمقت فى قراءة الأديان من أول الڤيدات الهندية والبوذية والزرادشتية وأخذ ذلك مجالا طويلا معى .. رحلة طويلة بينى وبين الأربع جدران وانتهت بشاطئ الإيمان.. أحسست بعدها فى النهاية أن القرآن الكريم جامع مانع .. تناول

كل شيء فى هذا الوجود ، ويعطى الإجابات النهائية لكل المسائل والقضايا التى كانت تحيرنى وتشغل عقلى ، وليس هذا فقط ولكن القرآن يضم فى عباءته كل الأديان والفلسفات وخلاصتها .

ولكن كان لليسار اتجاه بالفعل وقتها فالذى يسير فى طريقهم يشيدون به ويكتبون عنه مقالات والذى يغير طريقه عنهم يتناسونه أو يهاجمونه ، حدث هذا فى الستينات ولم يقتصر الأمر على الأدب بل امتد إلى السينما والمسرح .. وكل ذلك لم يأت بنتيجة إلا الفقر والجوع للبلد نتيجة الاقتصاد الشمولى الذى نادوا به فى حين تغير العالم كله، لقد رأوا بأعينهم سقوطهم الذريع .. فى خلال ٢٤ ساعة استيقظوا من نومهم فوجدوا جميع صحف العالم توجه إليهم اللعنات .. يديرون مؤشر الراديو فى كل اتجاه فيجدون أصوات الشعوب تهتف بسقوط الشيوعية حتى داخل روسيا نفسها .. إننى أشفق عليهم !

* * *

من وحي ماسبق كتب د. مصطفى محمود مقالته الشهيرة الخروج من مستنقع الاشتراكية والتى نشرها فى جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٣ يناير ١٩٩٠ والتى جاء فيها :

مات الفكر الماركسى بالسكتة فى ساعة زمان ودون أن تطلق رصاصة تحية لجثته بمجرد أن الشعوب سمح لها بالكلام . ولم تكن البورجوازية هى التى لعنت ماركس هذه المرة .. بل العمال والفلاحون والبروليتاريا والكادحون فى المناجم . والطبقات المطحونة التى زعمت الماركسية أنها جاءت لنجدتها ، ظهرت الحقيقة وبرح الخفاء ولم يعد هناك ما يدعو لأن نستمر فى الكذب وفى التستر على الأخطاء .. فلم تكن الاشتراكية العلمية إلا المحضن الخبيث الذى خرجت منه هذه السلالة من السفاحين: من لينين إلى ستالين إلى بريا إلى عملاء قتلة أمثال: هوبيكر وجيفكوف وميلوش ياكشى وتشاوتشيسكو حولوا أوروبا الشرقية إلى زانزنة وسجن وساحة إرهاب وميدان للرعب تقطع فيه الألسن وتقصف الأقلام .. ولم تكن الاشتراكية العلمية اشتراكية ولم تكن علمية وإنما كانت تلفيقا فلسفيا ومكرا يهوديا صنعه ماركس وجر به العالم إلى

حمامات دم ، وإلى صراعات رهيبة بين يمين ويسار استنزفت طاقات الشباب وضيعت أمما ، ودمرت اقتصاديات وألقت بشعوب فى شباك عنكبوتية من الأكاذيب.

وظلت الأكاذيب تتناسل وتتوالد تحت حراسة حديدية من قوة السلاح وفى رعاية قبضة فولاذية من القوة المطلقة لاتتراخى .. حتى أذن الليل بالانتهاء ، ورفع جورباتشوف قبضته وسمح بالكلام والمكاشفة والمصارحة (جلاسنوست) فإذا به يفاجأ بشعوب تنتفض من سبات لتلعن الملة الاشتراكية ولتثور على سدنتها ولترفض أحزابها ولترفض زعماءها ولتطرد سفاحيها .. وإذا به يفاجأ بزعماء الأمس يفرون كالجرذان المذعورة من وجه شعوب تطاردها بالمظاهرات والهتافات واللعنات ... والذى عاند منهم وكابر أعدمه شعبه رميا بالرصاص.

وقد آن الوقت لمثقفين عرب كرسوا أنفسهم لخدمة هذا الفكر الفاسد أن يراجعوا أنفسهم وهم يرون أمامهم التاريخ فى أوروبا يصنع من جديد على نهج مضاد لما كانوا يرجون من آراء وتنبؤات خابت جميعها .. وكذبها الواقع ..

وفى بلادنا حان الوقت لنصلح ماأفسده الاقتصاد الشمولى فى هيكل إنتاجنا المتداعى .. وما صنعه التأميم والقطاع العام والأداء الفاشل للشركات الخاسرة .. ولما تفعله مجانية شاملة لعشرة ملايين طالب من الحضانة إلى الجامعة بدون ميزانية .. ولمجرد الفشر .. بأننا نعلم الفقير والمعدم مجانا .. ولامجانية هناك ولاتعليم ولاتربية .. وإنما إهدار واستنزاف بلا عائد سوى الخلل الذى أدى إلى هجرة الفلاحين من الريف إلى المدينة حيث المدارس والجامعات ليصبحوا جميعا وزراء وبكوات ومهندسين وأطباء ومحامين .. واختلت البنية الاجتماعية (وهل يمكن تصور جيش كله جنرالات؟!) .. وتوقفت الزراعة فى الريف ونزل الفلاحون لشراء الخبز والزبد والبيض والدجاج من المدينة .. ومدت المدينة يدها لتستورد القمح والدجاج والبيض من هولندا وأنا وزير وأخويا أمير وابن عمى مدير يبقي مين حيسوق الحمير .. ومن يجمع زبالة القاهرة .. لايبقى إلا أن نعهد إلى شركة سويسرية لتقوم بنظافة شوارعنا .. والنتيجة قذارة متراكمة فى كل مكان .. ولا أيدى تنظف .. والخمسون مليونا يريدون جميعا أن يكونوا وزراء وخريجى الجامعات ...

ويؤدى الخلل فى البنية الاجتماعية إلى مزيد من الخلل ومزيد من التدهور فى الخدمات .

والدواوين مزدحمة بملايين من الموظفين لايجدون كراسى ولامكاتب ولا يعملون .. بطالة مقنعة تضاف إليها بطالة أخرى معلنة عبارة عن ألوف من الخريجين تقذف بهم الجامعات إلى حيث لا توجد أشغال ولا خطط ولا مشروعات تستوعبهم .

ولايجد هذا الطابور الطويل من البطالة إلا شارع المخدرات وأزقة الإرهاب وخلايا التطرف .. وتتراكم الفاتورة .. فاتورة الأخطاء .. أخطاء القرارات الاشتراكية التى أعلنت فى الستينات ، وألقت بالبلاد فى مستنقع من التناقضات والصراعات والعقم الاقتصادى والتدهور الإنتاجى .

ولا أحد يواجه الكارثة .. ويقف فى مجلس الشعب من يطالب بإنشاء جامعة أهلية بمصروفات فنجد من يرد عليه من داخل المجلس قائلا .. أهى عودة إلى عصر الذوات .

وينسى صاحبنا أننا أعطينا لأمريكا هذا الحق الذى نحرم أنفسنا منه ، فسمحنا لها بإنشاء جامعة أمريكية مصروفاتها للطالب الواحد

ألوف الدولارات .

ويطرح مشروع قانونى بمصادرة أموال تجار المخدرات فتسمع صوتا فى المجلس يقول .. وما ذنب الأولاد القصر فيما فعله أبوهم .. أبوهم الذى قتل اثنين مليون شاب وألقى بهم على الأرصفة والذى جمع ثروته من هذا القتل الأثيم .. نسمع من داخل المجلس من يدافع عن هذه الثروة .. ويذوب إشفاقا من حرمان الأولاد القصر منها ..

وستة عشر حكما بالإعدام تصدر فى حق تجار مخدرات ثبتت عليهم التهمة ويصادق عليها المفتى . فلاينفذ منها إلا حكم واحد .. فى تاجر مخدرات باكستانى .

والنتيجة هو منطق عام .. اسمه .. لامساس .. لا مواجهة .. لاحسم ولاأدرى ما السبب .

أهو الخوف .. من عواقب المواجهة ولكن الخوف له فاتورة تتراكم هى الأخرى .

وقد عاش عبدالناصر فى الخوف من الجيش وفى الخوف من المخدرات فظل يؤجل المواجهة الحاسمة من سنة إلى أخرى ..

لامساس بهذا ولا مساس بذلك .. وظلت فاتورة الخوف تتراكم .. حتى دفعها عبدالناصر مرة واحدة فى هزيمة ٦٧ .

ولم تنفع بعد ذلك محاكمة صلاح نصر ولااعتقال عبدالحكيم عامر .. لأن أوان الحسم كان قد فات .. وحمل عبدالناصر وحده خزى الدهر واقترنت الهزيمة باسمه وبسياسته إلى ما بقى من التاريخ .

ولامساس .. لاتقدم حلا ..

وكل ماتفعله أنها تؤجل المواجهة .. وتؤدى إلى عواقب تراكمية يرتفع فيها المد وراء السد حتى يطم السيل .

ويقول صاحب المشكلة .. أتركها لمن يأتى بعدى يحلها وأوفر على نفسى المصادمات .

ولكن من أدراه .. متى يأتى الطوفان ؟

ومن أدراه بأن الزمن سيعفيه ؟

ومتى أعفى الزمن أحدا قبله ؟

ولاتوجد روشتة شافية ولا وصفة منجية تخلص أى صاحب مسئولية من مسئوليته ، ولايوجد إلا حل واحد .. هو الخروج من مستنقع

الاشتراكية بمواجهة أخطائها .. وإصلاح ما أفسدته فى البنية الاجتماعية ، ودول أوروبا الشرقية تفعل هذا ..

وعلينا نحن أيضا أن نفعله .. ونحن ظروفنا أحسن فلسنا فى المأزق التراجيدى الذى تمر به دول أوروبا الشرقية .. لأننا قطعنا أكثر من نصف الطريق بقرارات العادات الجريئة .. ولم يبق إلا ربع الطريق .. واليسار يعيش فى خزى ووجهه بلون الأرض .. وهو لايفتح فمه إلا بهراء .. وقد تغير اتجاه الريح .. وانتهى عصر وبدأ عصر جديد .. لابد أن يسود فيه فكر جديد ومنهج جديد ، الآن وليس غدا أو بعد غد..

الآن نبدأ رحلة المائة يوم .. قبل أن تصبح رحلة المائة سنة .

حجم كرة القدم لايزيد على بضعة سنتيمترات فى القطر وبضعة سنتيمترات فى المحيط .. ولكن حجمها فى حياتنا أكبر من حجم الكرة الأرضية .

لم يشهد انتصار أكتوبر الحفاوة الشعبية التى شهدها انتصارنا فى مباراة الجزائر وكأننا فتحنا العالم أو عبرنا الفضاء إلى القمر ..

هل أصبحنا نحب اللعب إلى هذه الدرجة .. إلى درجة الجنون

وإطلاق الصواريخ والبالونات والبمب والرصاص والرقص فى الشوارع إلى مطلع الفجر، وإذا كانت عندنا كل هذه الطاقة والحماس والهمة فلماذا لاتظهر فى عمل جاد؟.

لماذا لاتظهر فى بناء أو نهضة أو فكر أو فن أو ثقافة أو اختراع أو اكتشاف؟.. لماذا لاتظهر إلا فى اللهو واللعب؟. وإذا تجمهرنا لفن فإنه دائما من نفس النوع: فن لهو وتفاريح ومواكب وأعياد وكل أيامنا بحمد الله أعياد وإجازات! هل تحولنا إلى مخلوقات تعيش بسطح وجودها .. وبقشرة جسمها؟ إن ما رأيته ليلة المباراة فى الشوارع لم يكن انتصارا بل كان انفجارا !.

لقد كانت أحشاؤنا تخرج لمجرد هدف جاء فى الشبكة ، هذه حالة نفسية من اختصاص .الدكتور شعلان والدكتور أحمد عكاشة .. إن ما حدث هو اختلال فى جهاز التقييم على مستوى الأمة ولا أتهم مصر وحدها .. وإنما نفس الظاهرة رأيتها فى إنجلترا ، ورأيتها فى إيطاليا ، ورأيتها فى أسبانيا (حفاوة من نوع آخر حول ثيران مصارعين) ..

ولكن لم أر هذا فى اليابان .. ولم أره فى ألمانيا ، فقد تجمع

الملايين فى ألمانيا حول سور برلين .. ليس من أجل هدف كروى .. ولكن من أجل قيمة اسمها الحرية .. ورقصوا للفجر .. وغنوا .. وهتفوا .. لألمانيا العظمى التى ولدت من مخاض القهر ومن ليل العذاب .. وبنفس الروح تجمع ملايين اليابانيين على أنقاض هيروشيما ليضعو اليد على اليد فى ميثاق عمل وميثاق عرق وميثاق سهر . وقد فعلوها وصنعوا قنبلة اقتصادية، وفجروا ثورة إنتاجية، وقادوا مظاهرة علمية بهرت العالم ، وردوا على أمريكا بتحد أكبر وأخطر .

هذه أمم مرشحة لقيادة التاريخ فى السنوات المقبلة .

ومع هذا فهى فى وقت اللعب تلعب ، وبإجادة أكثر من لعبنا ، وفى أولمبياد سول فازت ألمانيا الشرقية بمعظم الميداليات الذهبية وبهرت المشاهدين بلياقتهم العالية ومهارتهم العظيمة. وقدمت كوريا الجنوبية فى سول - وهى أمة آسيوية من أمم العالم الثالث ومحتلة . - نموذجا فريدا للتنظيم العلمى وللعرض الفنى المبهر. إن اللعب مطلوب ولكن على ألا يتجاوز مكانه فى سلم الأولويات .. فهو ساعة فى يوم إجازة وتسبقه ستة أيام عمل تحتاج إلى حماس

مضاعف بمقدار ست مرات وبهذا تكون النفس سوية تعرف لكل شيء مقداره . .

أما الشعب الذى ينفق أحشاءه وهمته وحماسه فى هدف كروى ثم يعود إلى بيته جثة خاوية جوفاء ليس فيها همة لشيء .. فهو شعب يحتاج إلى تحليل نفسى .

هل من يأس من عمل شيء جاد ؟

هل أبواب التفوق مغلقة فى جميع الميادين ولم تبق إلا الملاعب ؟؟

هل تركيز الإعلام على مباريات الكرة وأبطالها هو المسئول؟

هل هو خطأ فى التربية والتعليم ؟

هل هو خطأ سياسى تنظيمى؟

لو صح هذا التفكير فهو تفكير خاطيء لأن الدولة فى حاجة إلى العمل والإنتاج والإجادة والاختراع وإلى الحماس الآخر الصحى الذى تضيعه بفتح الباب على مصاريعه لهذا اللعب. لن تستطيع الدولة أن تبنى اقتصادها بأهداف كروية .. وإذا كسبنا الأوليمبى وخسرنا معركتنا مع القمح والقطن والأرز .. فلن نصنع شيئا ذا بال .. والنتيجة أن يتفجر الشارع من الجوع رغم جميع المباريات

الفائزة.

إن جدول الأولويات فى بلادنا مختل .. ومقلوب على رأسه .. اللعب فى أول القائمة .. والجد فى آخرها .. هذا إن وجد له مكانا ، والاستراتيجية الغالبة على نظامنا هى استراتيجية التفاريح .. والسعادة فى قاموسنا انفجار وفرح وحشى وتهريج ، وسوف يوافقنى علماء النفس على أن هذا النوع من الفرح هو تعبير عن الكبت وعن الحرمان ولايمت إلى السعادة بسبب وقد شاهدنا النتيجة .

شاهدنا الشارع ينفجر ثم يهمد .. والفريق الجزائرى الذى انفجر على طريقته راح يضرب الناس ويفقأ عيونهم .

ليست هذه رياضة بل تخلفا ..

لقد رفع أجدادنا أهرامات بدون حديد وبدون مسلح وبقيت على الزمان خمسة آلاف سنة .. ونحن نرفع عمارات من الأسمنت والخرسانة .. والمسلح لتقع منهارة بعد شهور من بنائها .

والفرق الوحيد هو هذا الشىء الذى نتحدث عنه .

روح الجد عندهم وروح اللعب والعبث عندنا .

إن العمر قصير .. والانسان لم يولد ليعيش عبثا ويموت عبثا.

ومانعانيه فى الدنيا من أموال يدعو لأن نعمل شيئا فى حياتنا ، شيئا يساوى تلك الأموال ، شيئا أكثر من هدف كروى ، وهناك شيء فى الذوق العام وفى الفهم وفى الوعى وفى الإدراك يجب أن يتغير . وعلينا أن نجدول أولوياتنا من جديد .. بحيث يكون .. العمل الجاد فى البند الأول واللعب فى البند الأخير .

* * *

● د. مصطفى محمود ..أنت توقعت منذ سنوات ما حدث للدول الشيوعية الآن .. هل الكاتب هو أكثر الناس تنفسا لرائحة المستقبل ؟ .

●● هو بفضل ربنا سبحانه وتعالى .. لديه شفافية تدرك إيقاع التاريخ .

● ماحدث الآن من متغيرات فى الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية هل هو زلزال للحتمية التاريخية الماركسية؟!

أم هذا يلغى الماركسية من جذورها أصلا؟!

●● يلغى الماركسية من جذورها ، ولكن الشيوعيين الآن يقولون غير ذلك إنهم يقولون: «نحن نتطور – نغير جلدنا .. جلْدكُو أيه ؟ .. انتو بقى فيكوا حاجة ؟» ! ملكية لوسائل الإنتاج والاقتصاد

الشمولى والصراع الطبقى ديكتاتورية البروليتاريا .. ماذا يبقى منها؟!
والدليل على ذلك ماحدث فى كل من بولندا والمجر وبلغاريا حين شطبوا الماركسية كعلم من مناهج التدريس للطلبة فى هذه البلاد .. ماذا تريد أكثر من هذا؟!

● **لماذا رفضت طباعة كتابك "الله والإنسان" و" إبليس" طبعة ثانية؟ .**

●● لم يكن لهما مكان فى أعمالى .. والحقيقة أننى ضمنت هذين الكتابين فى كتابى ﴿حوار مع صديقى الملحد﴾.

● **هل من الممكن – من وجهة نظرك – أن يغير الكاتب فى طبعته الثانية ما جاء فى طبعة الكتاب الأولى من أفكار لتلائم روح أو ظروف العصر .. هل الكاتب يمكن أن يراجع نفسه ؟.**

●● لقد حاكمت نفسى وعرفت ما هى أخطائى ؟! والكاتب لابد أن يراجع نفسه .. فالإنسان دائما خاطىء .. ولايوجد غير كتاب واحد لايؤخذ منه ولايرد وهو القرآن الكريم .
ولهذا فقد راجعت نفسى .

● **مثلما فعل خالد محمد خالد ؟**

●● خالدِ محمد خالد عندما مات ستالين كتب يقول: "مت حيا أو ميتا يارفيق" ثم عاد بعد ذلك وصحح موقفه من ستالين .

والواقع أن المعلومات كانت تصلنا خطأ كلها فقد كانت لدينا أجهزة من نوع خاص تسمى أجهزة الكذب فى الستينات .. أيام أن كنا نقول فى حرب ١٩٦٧ :.. إننا نسقط ٣٠٠ طائرة كل يوم !

● د.مصطفى محمود .. يقول أحد الفلاسفة : "أنا لست فى حاجة إلى معرفة لأؤمن ، ولكن أنا فى حاجة إلى الإيمان لأعرف".

فهل العلم طريق الله أم الله سبحانه وتعالى طريق إلى العلم؟

●● عبارة هذا الفيلسوف صحيحة مائة فى المائة لأننا ننظر بنور الله سبحانه وتعالى .. فأنت تعيش به وترى به وتسمع به، والقرآن يقول: **أسمع بهم وأبصر** فالله سبحانه وتعالى طريق لكل شيء ، حتى الله عز وجل هو الطريق إلى معرفته .. فهو الذى يعرفك بنفسه .. فأنت بجهدك الشخصى المنفصل المستقل لاتصل إلى شيء مطلقا .. ومن هنا جاءت كلمة القيومية .. بمعنى أن الحياة تقوم به وحده عز وجل .. ومن غيره سبحانه وتعالى تنتهى الحياة وتفنى وتصبح عدما. فأنت قلبك يدق بين ضلوعك به هو عز وجل تماما

مثلما تقطع الكهرباء عن الراديو فيتوقف ، فالله سبحانه وتعالى هو الطاقة الخالصة التى تحرك كل الأشياء والموجودات .. وبدونه تتوقف كل الأشياء.

والرسول ﷺ يقول فى دعائه :

اللهم بك انتصرت .. اللهم بك أصول .. اللهم بك أجول ولافخر لى .. فهو يعتبر فى كل حركة بالله سبحانه وتعالى.

ثم يأتى الرسول فى دعائه ويقول :

اللهم إنى أعوذ بعفوك من عقابك .. اللهم أعوذ برضاك من سخطك .. اللهم أعوذ بك منك.

وقد نتساءل على عبارة الدعاء الأخيرة وهى اللهم أعوذ بك منك وتقول كيف ؟

وأقول لك نعم من الذى عمل الشيطان هو الله سبحانه وتعالى ، ومن الذى خلق الميكروبات والسرطانات والموت وفجر البراكين والزلازل ، هو أيضا الله سبحانه وتعالى .. فالله هو الضار النافع .. من أسمائه الحسنى أنه الضار النافع.

فبدلا من أن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. يقول: أعوذ

بك منك .. لا أحد غيره .. لأن الشيطان .. ما هو إلا جند من جنوده بنفخة .. من الله يطير .. وهذا فى حد ذاته منتهى التوحيد لأنه تلاشت كل الجزئيات .. لأنه لايفكر فى موت وأمراض وأعداء وشياطين لأنهم كلهم من جنوده . وهذا منتهى التوحيد .

● د.مصطفى محمود .. هل وصلت .. هل تحس بالقرب من الله؟!

●● طبعا فى لحظات أحس بشعور لايمكن وصفه فإنها لحظات الأبد .. نعم تأبدت فى الشعور والوجدان وألقت بظلها على ما بقى من عمر ولكنها لحظات لاتتكرر كثيرا وهى لاتأتى بجهد العابد ولكن بفضل الرب فهو الذى يتقرب إلينا وهو الذى يتحبب إلينا .. وما نتعرف عليه إلا به .. وما تعبده لحظة تمام العبادة إلا بمعونته .. وما ندخل عليه إلا بإذنه .. فهو العزيز المنيع .. ولقد عرفت أن تلك هى السعادة الحقة وجنة الله على الأرض .

● د.مصطفى محمود .. فسرت القرآن تفسيرا عصريا .. وحدثت ضجة وقال البعض هل هناك تفسير عصرى وتفسير غير عصرى للقرآن؟!

●● هؤلاء فهموا المعنى خطأ .. فالقرآن فى كل عصر يفض

مكنونا جديدا ومن أجل ذلك نقول: إن القرآن لاينتهى ، فيه كلام فهو ليس مثل أى مقال يكتب ويبرز مضمونه وينتهى بعصره ولايقرأ بعد ذلك .. لا .. القرآن مضمونه ثرى وغنى جدا ، ففى كل عصر يعطى لك جديدا .. فهذه الآيات الكونية التى تتحدث عن النجوم والفلك لم تكن مفهومة فى عصرها لأنه لم تكن لديهم الأجهزة الدقيقة والعلم المتقدم ، ولكن الآن أصبحت مفهومة .. فهذا عطاء جديد للقرآن .. فهو فى كل عصر يعطى عطاء جديدا.

• د.مصطفى محمود . . هاجمتك بنت الشاطىء فى تفسيرك العصرى للقرآن فى كتاب كامل وقالت : بإننا لايجب أن نتورط إلى المزلق الخطر الذى يمكن أن يتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريع والرياضيات والذرة فليس صالحا لزماننا ولاجديرا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصرى !

هكذا باسم العصرية نغريهم بأن يرفضوا فهم القرآن كما فهمه الصحابة فى عصر المبعث ومدرسة النبوة ليفهموه فى تفسير عصرى من بدع هذا الزمان ؟ واتهمت التفسير العصرى بأنه نموذج لمن

يتكلمون فى القرآن بغير علم .. وما يتعرض له الفهم الإسلامى من بدع التأويل بالرأى والهوى ؟!

●● فى الواقع حين خرج كتاب د.بنت الشاطىء خرجت هوجة كبيرة من الجماعة التقليديين ثم سرعان ما انتهت هذه الهوجة واستقر العلمى وأصبح اتجاها مستقرا فى الأذهان برغم أنف الجميع .. لماذا ؟ لأننا حين نقول التفسير العلمى فإننا لانعنى بذلك القرآن ككل وإنما الآيات الكونية بالذات وهى آيات محدودة وتتناول الفلك والنجوم والسموات والجبال والطقس والأجنة.

وليس أن يأتى شخص ويقول لى بيانا ويذيعه ، ولكن لابد ان نكتشف أن القرآن سابق عصره وسابق العلم .. وبين أشياء كاشفة فى الموضوع .. فأنا لا أعرف .. لماذا يغضب هؤلاء .. إن الموضوع ليس تخصصهم بالمرة !

● عفوا د.مصطفى محمود .. إنهم يقولون العكس .. إن الموضوع ليس تخصص حضرتك ؟!

●● لا .. إنهم لايفهمون فى هذه المسائل .. فالآيات الكونية ليست تخصص هؤلاء الناس بالمرة ، وقد فهم السلف هذه الآيات

فهما محدودا وخاطئا .. والحقيقة أن التفاسير القديمة مليئة بالحشو والأخطاء فيما يتعلق بالآيات الكونية بالذات ، ولكن الحمد لله انتهت هذه الصورة ، وأراد الله أن يكون هناك تقدم علمى وأن تأخذ هذه الآيات حقها فى الشرح والتفسير الحقيقى الصحيح من الفهم .

هؤلاء يتصورون للأسف الشديد أن القرآن نزل للسلف ولقريش فقط .. مستحيل!! فنحن مدعوون لأن نتدبر القرآن ، والله سبحانه وتعالى يدعونا لذلك لأن نتدبر ، **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر.**

وإذا كان هؤلاء يؤمنون بالتخصص .. فكل ما ورد فى الموضوعات العلمية والفلكية لايدخل فى تخصصهم بالطبع، وعلى العموم فقد انتهت هذه الهوجة ، والتفسير استقر على الحقيقة . . مثلا جريدة الأهرام نشرت مؤخرا موضوعات تدخل فى هذه السلسلة عن موضوع الشجر الأخضر من خلال الآية الكريمة التى جاءت فى سورة يس **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون** ونحن عادة لانتخذ من الشجر الأخضر

وقودا ولكن الذى يفض مكنون هذه الآية .. أن الشجر الأخضر مرتبط بالكولورفيل الذى هو حقيقته تمثيل كلورفيلى يقتنص طاقة الشمس ويخزنها فى نشويات فى جسم الشجرة وساقها .. وهذا اللغز قد تم كشفه عن طريق علوم النبات .

فلاشك أن العلم قد أعطى لنا أعماق هذه الآية .. إنما الرجل السلفى تصور أن المسألة أنه يشعل فى الشجر الأخضر للتدفئة ، والحقيقة أننا لانشعل فى الشجر الأخضر ولكن نشعل فى الخشب الناشف .. ولكن لماذا كلمة الشجر الأخضر ؟ .. النص هنا صريح

.. **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر** .

إذن الخضرة لها دور .. ودورها واضح فهى التى تأخذ ضوء الشمس وتحوله إلى طاقة وتختزن هذه الطاقة فى جسم النبات.

مثل هذه الامور استقرت الآن وأصبحت اتجاهات معترفا به .



من علقة بنت الجيران

إلي علقة زوجته له.

- زوجتي الأولي كانت توقظني ليلا وتنهال عليّ ضربا !
- من أجل عيون «عدلية» أخذت علقة ساخنة !
- جثة إنسان ميت ظلت أربعة شهور تحت سريري !
- عرض علي زعيم قبيلة "نيام نيام" أن أتـــزوج أربعا من بناته !



● ماذا يبقى من ملامح الطفولة المبكرة في ذاكرة مصطفى محمود ؟

●● حين تفتحت عيناى على الحياة تفتح وعيى على ملاحظة هامة وهى أن كل زملائى يلعبون ويمرحون .. يلعبون الكرة ويجرون ويصارعون بينما كنت عاجزا على أن أفعل مثلهم.. كنت طفلا مريضا.. ضعيفا.. نزلة برد خفيفة يمكن أن تقعدنى فى الفراش لمدة ١٥ يوما ولهذا لم يكن غريبا أن يكون لى عالم خاص.. هو عالم الأفكار والأحلام والكتب.. كنت أحلم دائما بالبطولات والانتصارات.. بطولات السندباد ورحلاته.. والمكتشفين والعلماء... كانت أحلامى كلها بطولات سواء أكانت بطولات عسكرية مثل خالد بن الوليد والإسكندر الأكبر، أم بطولات علمية مثل ماركونى وأديسون.

● وماذا بعد أن انتقلت الأسرة من شبين الكوم إلى طنطا حيث عمل والدك فى مديرية الغربية/

●● ولدت فى مدينة شبين الكوم ولكن بعد ميلادى بأيام انتقلت الأسرة إلى طنطا.. وقد ولدت توأما فى سبعة شهور وربما كان لميلادى فى سبعة شهور سببه فى أن صحتى دائما كانت معتلة وقد

مات توأمى وكان يسمى «سعد» بعد ميلاده بأيام قليلة.

وحين أتذكر تلك المرحلة المبكرة من حياتى تنداح من الذاكرة صورة والدى، الإنسان الحنون الذى كان يحتضنى ويحملنى على كتفه فور عودته من عمله فى الديوان العام لمديرية الغربية . ولأننى كنت آخر العنقود ومريضا فى نفس الوقت فقد كنت مدللا بمعنى الكلمة فلو قلت له: أحضر لى لبن العصفور لفعل!.. فإذا قلت لهم «هاتوا لى ملوخية» كما كنت أفعل أسرعوا إلى كل الجيران يبحثون عن الملوخية إذا لم تكن فى قائمة طعامنا يومها!.. كانوا لايردون لى طلبا مطلقا.

وكانت أمى هى الزواج الثالث لأبى.. وكان أبى هو الزوج الثالث لأمى ؛ فقد تزوج أبى زوجته الأولى التى رحلت بعد زواجه منها ثم تزوج الثانية وفشل فى زيجته ثم كانت أمى هى الزوجة الثالثة له، ومن المفارقات الغريبة أنه هو أيضا كان الزوج الثالث لها. ولأن أبى كان إنسانا طيبا حنونا فقد ضم كل أولاد ها من زوجيها السابقين .. ولهذا فقد كان منزلنا يضم عائلة كبيرة.. شقيقتى الكبرى من أمى والتى تعيش معى الآن ، وشقيقتى الصغرى «اعتدال» التى رحلت منذ سنوات وشقيقتين من زوج سابق لها حلمى مراد

ومحمد مراد بالإضافة إلى شقيقى الأكبر المرحوم حسن محمود والذى كان محافظا للمنصورة فى الستينات وشقيقى مختار هذا فضلا عن شخصى وتوأمى «سعد» الذى رحل بعد أيام من مولدى.

كانت أمى سيدة منزل مدبرة.. حازمة وكأنها تحقق بذلك التوازن فى الأسرة الطيبة لأبى المفرط !.. وكانت وزيرة اقتصاد لمرتب أبى الضئيل حيث كان يعمل محضرا بمرتب لايتجاوز ٨٠ قرشا!.. ولكنه كان إنسانا مثقفا يتحدث الفرنسية بطلاقة، فقد كانت شهادة الابتدائية تحمل فى مناهجها ودراستها التعمق فى دراسة اللغات الأجنبية ومنها الإنجليزية والفرنسية وهو ما يختلف الآن حتى بعد تخرج الطالب فى الجامعة فقد لايتعدى حصيلة لغاته الأجنبية بعض الكلمات المعدودات.

وقد تدرج أبى فى مناصبه من أول الدرجات الوظيفية كمحضر، إلى أن وصل إلى سكرتير فى مديرية الغربية وارتفع مرتبه من ٨٠ قرشا حتى وصل إلى ٢٠ جنيها وهو أكبر مرتب حصل عليه فى حياته. وكانت له عادة لم يقطعها فى حياته منذ أول مرتب تقاضاه، وحتى آخر مرتب، وهو أنه كان يعطف بربع مرتبه على الفقراء.. كان يذهب إلى أقاربه الفقراء ومعارفه الذى كان يرى فيهم رقة

الحال فى القرى المحيطة بطنطا ويوزع عليهم ربع هذا المرتب الضئيل، فقد كان حنونا، عطوفا، إلى أبعد مدى مع زوجته وأولادها وأقاربها ومعارفه.

وعلى الرغم من المرتب الصغير الذى كان يتقاضاه أبى إلا أننى أقسم لك أننا كنا نأكل «لحوما وفراخا وخضارا وفاكهة معا» لايستطيع أب يتقاضى ٢٠٠ أو ٣٠٠ جنيه أن يحققها لأسرته الآن ..ولا أستطيع أن أعلل أو أفسر ذلك سوى أنه «البركة» مرتب صغير ولكن الله بارك فيه لأن من تقاضاه قد بذل العرق والجهد الذى يستحقه وأتقن عمله على الوجه الأكمل فبارك الله فيما رزق له.. كانت اللحوم والخضار والفاكهة والمأكولات لها طعم ونكهة تختلف عن الآن تماما.. فما نأكله اليوم ليس «فراخا» أو «لحوما» ولكن « قطنا طبيا» – صدقنى إن ما نأكله اليوم ليس «لحوما» بمعنى الكلمة ولكنها مثل «اللحمة الإسكندرانى الدوبارة»!!

والموز الذى تجده أمامك على المائدة ليس "موزا" بالمعنى المتعارف عليه ولكنه موز بلاستيك!.. وهل ماتأكله الآن «خيار» مثلا لا.. ليس فيه من طعم ونكهة الخيار الطبيعى شيئا! ،السبب فى ذلك يعود إلى الصوبات الزراعية !.. إلى الهندسة الوراثية والأسمدة

والكيماويات التى تأكلها وتبلعها مع ما تأكل! والسبب فى ذلك هو التكنولوجيا الزراعية، والصوبات الزراعية التى أفقدت كل شىء طعمه..

لا أستطيع أن أنكر أننى عشت حياة متواضعة فى منزلنا، لكن شملتها الراحة والسكينة والطمأنينة والبركة فى المعيشة والمأكل والمشرب.. لم أكن أعرف السيارة أو التاكسى ولكن «الحمار» فى أحسن الأحوال، حينما كنت أريد أن أذهب إلى القرى المجاورة لزيارة أقاربنا ومعارفنا، لكن طريقى إلى المدرسة يوميا كنت أقطعه سيرا على الأقدام.. لا أنسى أن زملائى فى المدرسة كانت تنتظرهم على باب المدرسة سيارات فارهة لتوصيلهم إلى منازلهم.. لكنى لم أعقد مقارنة مطلقا بينى وبينهم.. لم أحلم يوما بأن يكون لدى سيارة أو قصر.. ولم يخطر ببالى ضرورة أن أكون غنيا ، فقد كنت ملفوفا فى عالمى الخاص؛ عالم ملىء بالقيم والمثل العليا محفوفا بالبطولات والانتصارات وانتصار الخير على الشر في هذه الحياة.

ورغم مرض أبى سبع سنوات كاملة كان فيها طريح الفراش إلا أننى لم أسمع منه شكوى واحدة أو عبارة ملؤها السخط والتذمر بل كانت الابتسامة لاتفارق شفتيه أبدا.. كان يؤدى الفروض حتى آخر

يوم فى حياته.. كان يعتريه فى آواخر أيامه النسيان فكان يدخل عليه صديقه الشيخ على ويقول له:

ياشيخ محمود.. أنت رفعت عنك التكاليف.. وكان أبى يضحك وهو يرد عليه قائلا:

لايمكن أن ترفع التكاليف أبدا !!

وحينما كان ينسى ـ بحكم السن والشيخوخة وضعف الذاكرة ـ عدد الركعات كان يسألنى لأذكره.. كان أبى يمثل لى كمالات خلقية نادرة، وتعلمت منه الكثير من القيم والمثل العليا النبيلة.

● د. مصطفى محمود.. ألا ترى تناقضا بين تاريخ شهادة ميلادك وبين واقعك.. فشهادة ميلادك تؤكد أنك من مواليد برج الجدى ولكن البعض ومنهم المنجمون يؤكدون أنك من برج القوس؟!

●● ولدت فى شبين الكوم يوم ٢٠ ديسمبر تقريبا عام ١٩٢١! ولكن المقيد فى شهادة ميلادى هو يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٢١! أى بعد ميلادى الحقيقى.. فالحقيقة.. إننى من برج القوس وليس من برج الجدى وهذا يفرق كثيرا فى الأبراج لدرجة أن أحد رجال الفلك ويدعى الشيخ حسين ضرب لى النجم وحسب لى من المراجع الفلكية وقال لى أنت ليس من برج الجدى ولكن من برج

القوس، شكلك وملامح وجهك تقول إنك من برج القوس، ومن مفارقات الأيام أن هذا المنجم قد تنبأ بما سيحدث لى على مدى عشرين عاما بالتفصيل والأرقام!

فقد قال لى: إنك ستغير اتجاهك بعد ثلاثة شهور، وحدث. وقال لى: سوف تطلق زوجتك بعد ثلاث سنوات وسوف تتزوج ثانية وحدث، وأجرى لى حسبة اليازرجة وهى عبارة عن ضرب أرقام فى حروف .

وقال لى: إن الأمراض التى سوف تصيبك هى أمراض المذاكير.. والمذاكير في علم النجوم تعني الفتحات وبالفعل فكل العمليات التى أجريت لى كانت من هذه المذاكير.

كل ما قاله لى هذا المنجم قد تحقق فى حياتى فعلا!

● د. مصطفى محمود.. كنت تحلم منذ طفولتك بأنك أصبحت «طرازان» وأنك تقفز مع الحيوانات على فروع الأشجار.. وشاءت الأقدار أن يصبح حلمك حقيقة واقعة!

●● منذ طفولتي وأنا يراودني حلم كبير هو رحلة إلى الغابات الاستوائية، وهذا الحلم كان نتيجة طبيعية لمشاهداتي المستمرة والمعتادة لروايات طرازان والسندريلا في أفلام السينما.. وعشقت

قصص السندباد وروبنسون كروزو وكيف حطم مركبه ليعيش فى الغابات بين القرود والحيوانات. هذه القصص وغيرها جعلتنى أتوق شوقا إلى زيارة هذه الغابات الاستوائية التى رأيت صورها فى رابعة ثانوى فى كتالوج كبير للجغرافيا عن الغابات الاستوائية .. وتصفحت هذا الكتاب الكبير وقرأت عن افريقيا وبصفة خاصة جنوب السودان ونيجيريا وتنجانيقا ، ولم اكتف بذلك بل نزعت صور القرود والحيوانات الافريقية لأزين بها حجرتى بدلا من كبار الفنانين والمطربين ونجوم الكرة!

ومن مفارقات الأيام أن يتحقق الحلم الذى طالما راودنى منذ الطفولة حين أصبحت صحفيا فى روزاليوسف من خلال مؤتمر أسيوى أفريقى فى تنجانيقا.. وكان أيامها المرحوم يوسف السباعى سكرتير المؤتمر الآسيوى الافريقى فاختارنى من ضمن الكتاب المسافرين، ورغم الصعوبات التى صادفتنى فى القاهرة قبل السفر فى استخراج تأشيرة للسفر حيث كان هناك ضابط عسكرى يحمل نفس اسمى وممنوع من السفر بأمر السلطات ، وكما تعلم أيام عبد الناصر مدى الصعوبات التى يمكن أن تواجهك فى السفر للخارج أو الحصول على عملة صعبة لمواجهة متطلبات الرحلة فلم أستطع تحويل سوى

خمسة جنيهات فقط!

وكانت سعادتى غامرة حين وصلت إلى افريقيا لدرجة جعلتنى أنسى كل المتاعب التى صادفتها قبل السفر.. وما أن وضعت قدمى فى أفريقيا حتى انطلقت لأحقق ما أصبو إليه من الرؤية، والبحث والتنقيب عن أسرار أفريقيا التى كثيرا ماقرأت عنها. وحاول يوسف السباعى أن يدعونى إلى متابعة جلسات المؤتمر ولكن هيهات، فهذه فرصة العمر التى كنت أنتظرها للانطلاق نحو الغابات فلم أطق الجلوس ولو دقيقة واحدة داخل أروقة المؤتمر المغلقة!

وفى تنجانيقا صعدت جبل كليمنجارو، ذلك الجبل الغريب الذى تتوافر فيه جميع فصول العام، فحتى الثلوج تجدها فوق هذا الجبل!

وكلما صعدت تدريجيا تتغير أنواع النباتات التى تقابلك!

فهذا الجبل فى حد ذاته يمثل متحفا من الطبيعة الرائعة !

الطريف أننى لم أصرف مليما واحدا من الخمسة جنيهات أثناء فترة انعقاد المؤتمر فقد تكفل المؤتمر بكل المصاريف من فندقة ومأكل ومشرب ، وما أن انتهى المؤتمر حتى قلت لهم: لن أعود معكم إلى القاهرة ولكن سأواصل رحلتى نحو السودان.. فقد كان حلمى الأكبر هو جنوب السودان.. وكان جنوب السودان وقتها ينعم

بالسلام ولم يعرف شرور الحرب بعد..

وقد قوبلت فى جنوب السودان بكل حفاوة وتقدير... وقد فوجئت بعدد كبير جدا من القراء.. فقد اتضح أن مجلة صباح الخير تصل إلى هناك وتلقى رواجا كبيرا ولهذا فقد ظلت الخمسة جنيهات صحيحة لكرم القراء فى السودان الذين أقاموا لى الولائم الكبيرة ونحروا الذبائح احتفالا بوصولى!

ووصلت إلى «جوبا» فى جنوب السودان ووصلت الى الأحراش وعشت شهرين من أمتع ما عشت فى حياتى وسط قبيلة «نم نم» «نيام نيام»!

حيث نزلت ضيفا على زعيم القبيلة الذى كان يجيد الانجليزية نتيجة تعامله مع الاستعمار الانجليزى.. كان متزوجا من خمسين سيدة يسكنون فى خيام متجاورة تسير إليها عدة كيلو مترات!

ولقد عرض على زعيم قبيلة «نيام نيام» أن أتزوج أربعا من بناته.

طبعا أنا أصبت بالرعب والخوف.. كيف أصرف على أربعة مرة واحدة فقال لى: لاتقلق ولا تشغل بالك فالرجل فى قبيلتنا لا يعمل، ولكن المرأة التى تقوم بالنيابة عنه بذلك.. وكم كانت دهشتى حين رأيت الرجل فى هذا القبيلة يقتصر دوره على الجلوس

تحت شجرة ليدخن بينما نساؤه تعمل لتوفر له العيش والحياة فى رفاهية ، بل الأغرب من ذلك أن المرأة تطلب من زوجها أن يتزوج عليها لكى تساعدها فى الأعمال الشاقة التى تقوم بها من أجل عيون الرجل الذى لاعمل له سوى أن يدخن!

وهذه القبيلة عارية تماما إلا من ورقة توت!

ولهذا فإن « الجنس الحر» أو «الفرى سكس» منتشر بدرجة كبيرة فى هذه القبيلة ، فالقبلات والأحضان والملامسات الجنسية والمفاخذة مباحة فى القبيلة بشرط ألا تحمل الفتاة!

فإذا حملت الفتاة تقدم هى وصديقها الشاب أمام محاكمة من القبيلة وتحدث لهما فضيحة!

كما أن أعمال السحر منتشرة فى هذه القبيلة، فالسحرة هم الذين يعالجون الأمراض.. وحين يحدث جفاف فإن ساحر الأمطار يبدأ فى ممارسة أعماله فى السحر فتنهمر الأمطار.

ولقد رأيت بعينى الحملات التبشيرية على هذه الشعوب البدائية وكيف أن المبشر المسيحى يأتى على طائرة صغيرة يطلقون عليها «طيور الجنة » طائرة صغيرة تستطيع أن تهبط على الأرض أو الحشيش الأخضر من غير مطارات.. ويحمل المبشر معه كل ألوان

وأنواع الجذب فيجب أن يكون مؤهلا على المستوى الشخصى لجذب اهتمامات ومصالح هذه الشعوب فهو طبيب بشرى ويبطرى وخبير فى الزراعة فى وقت واحد.

فهو يعالج الناس، ويداوى المواشى، ويساعدهم فى الزراعة، ويكون مصدراً لثقتهم ليستطيع من خلال ذلك أن يبشر بالدين المسيحى.

وحدث حوار ونقاش بين المبشر المسيحى وأهل القبيلة حول مسألة عدم إباحة الدين المسيحى للرجل بالزواج بأكثر من واحدة فى مواجهة عادات وتقاليد القبيلة التى يحق للرجل فيها أن يتزوج ٤٠ أو ٥٠ امرأة. وقالوا يومها للمبشر المسيحى: إن الكتاب الذى أهديته لنا قرأنا فيه أن داود كان متزوجا من ١٠٠ امرأة وأن النبى سليمان كان متزوجا ١٠٠٠ امرأة فلماذا لاتجعلنا مثل داود؟! ونتيجة لذلك فإنهم كانوا يفضلون الدين الإسلامى الذى يعطى لهم فرصة فى تعدد الزوجات لأنهم لايستطيعون مقاومة التعدد لأنه صمام أمن ضد الفناء والموت لانتشار الأمراض الخطيرة والأوبئة المعدية وكوارث الطبيعة ولهذا فقد كسب الدين الإسلامى أيامها الجولة وكانت نتيجة ذلك أن جاءت تعليمات بابوية بإباحة تعدد الزواج المسيحى فى هذه القبائل وأن يقلدوا إن أرادوا النبى داود فى الزواج بمائة

امرأة!!

ولقدحضرت مناقشة أخرى بين المبشر المسيحى وأهل القبيلة العرايا وكانت محاضرة دينية يعرض من خلالها دينه فكان يقول لهم:

لاتسرق.. لاتزن إلى آخره.. ورد عليه أحد رجال القبيلة وكان عاريا إلا من ورقة توت ، قال له:

يامولانا أسرق أيه.. اللصوص الحقيقيون هم الخواجات الذين جاءوا هنا وسرقوا ونهبوا.. ثم تأتى لتقول لى.. لاتسرق وأنا عريان ملط! ولا أحمل على جسمى مايستره إلا ورقة توت!

اذهب وقل للخواجات الذين نهبوا كل الأبنوس وثرواتنا ومناجمنا وحملوها على المراكب إلى بلادهم .. اذهب إليهم وقل لهم هذا! فإنهم أحق بنصيحتك!

كانوا شعوباً بدائية لكنهم كانوا أذكياء !

● **ألم تفكر أن تقوم أنت بجولة تبشيرية هناك. !**

●● لا لم يكن وارد عندى نهائيا هذا.. فقد كنا وقتها عام ١٩٦٢ وهى فترة كانت قريبة من صدور كتابى الأول «الله والإنسان».

● **أم أنك أنت كنت فى حاجة إلى من يشرك؟.**

●● لا.. لم أكن متحيزا لشىء ما فى هذه الرحلة .. كنت أفكر

فيها بحرية في كل شيء.

● وماذا عن رحلتك التاريخية في الصحراء الكبرى.. التي عشت فيها شهورا مع قبيلة الطوارق؟.

●● لقد قمت بهذه الرحلة في الصحراء الكبرى والتقيت هناك بقبيلة (الطوارق) في ليبيا والجزائر والنيجر حيث توجد هذه القبيلة الغريبة التي تجد فيها الرجال محجبين والنساء سافرات!.. ولقد وقفت متعجبا أمام هذه الظاهرة..وقيل لي الكثير عن السبب في ذلك فالبعض قال: إن الرجال دائما في الخارج.. في الصحراء يسفون الرمال والتراب، أما المرأة فمكانها في البيت. وقيل: إن الحجاب على وجه الرجل نوع من الإخفاء والتمويه والتنكر في الحروب، وليس هذا صحيحا فهم يعرفون بعضهم البعض، لكن أقرب التفسيرات إلى الصحة هو أنه في ديانات هذه القبائل يعتبرون الفم عورة ، لأن الفم هو الذي يخرج منه الخير والشر معا.. فالرجل يفتخر بأنه ظل مع زوجته خمسين عاما ولم تر فمه ، أو تجد الزوجة مثلاتقول : لقد عشت مع زوجي خمسين عاما ولم أرَ فمه!!

ـ د قابلت في هذه القبيلة سيدة مسنة عمرها أكثر من ٨٥ عاما تحفظ القرآن كاملا رغم أن الإسلام لم يصل إلى هذه القبائل فهم

وثنيون، ولكن من الغريب أنهم حين يشرفون على الموت ويودعون الحياة تجدهم يرفعون إصبعا واحداً إمعانا وإشارة إلى الخالق الواحد القهار.. من أين جاءوا بذلك رغم أنهم وثنييون.. لا أعرف؟!

ومن غرائب هذه القبيلة أن الرجل لايتناول سوى وجبة واحدة فى اليوم ولايشرب سوى لبن النوق المعتق ولهذا تجد الرجال مثل الرماح القوية كلهم صحة ونشاطا وحيوية.

● د. مصطفى محمود.. متى خفق قلبك لأول مرة وكيف تعرفت على ابنة الجيران «عدلية»؟!.. حب الطفولة؟!

●● م- ضمن متاعبى المستمرة فى هذه الحياة هى أننى إنسان عاطفى جداً، ولذلك فإن الحب بدأ معى مبكرا وعمرى لم يتجاوز سبع سنوات!! كنا أيامها نتجمع مع أصدقائنا وأولاد الجيران فى بير السلم ونتبارى لإبراز مواهب كل منا، وفى هذا العمر كانت تجلس معنا ابنة الجيران كان اسمها عدلية.. كانت جميلة جدا وعمرها مقارب لسنى ٨ أو ٩ سنوات.. كان والدها معاون إدارة ،وكانت تنبهر بمواهبى التى تفوقت جدا على أبناء الجيران حيث كنت يومها أغنى وبعد ما أغنى أقرأ للشيخ محمد رفعت وكان صوتى جميلا، ولا أكتفى بذلك، بل أحكى حكاية من وحى الخيال

والخاطر حيث كان مطلوبا من كل طفل أن يحكى قصة من بنات أفكاره وكانت حكايتى هى التى تفوز دائما.. فكانت تنظر إلى نظرة لم أنسها حتى الآن.. نظرة ملؤها الحب والإعجاب، وأنا فى حقيقة الأمر لا أعرف كيف كانت تأتينى أفكار هذه القصص والحكايات؟! وعلى مدى الأيام ازداد إعجاب «عدلية» بى أهديتها كتاب محفوظات وأهدتنى فيل عاج صغيرا !!

واكتشف زملاء «الشلة» هذا الحب فى عيونى ولم يجدوا طريقة لكى يخلصوا منى سوى أن يضربونى علقة ساخنة ! ولم يكتفوا بذلك بل أصدروا فرمانا بعدم دخولى الشارع.. وأنا ضعيف لا حول ولا قوة لى ولا أستطيع أن أحاربهم فى لعبة الضرب هذه!

ولقد عاش معى هذا الحب فترة طويلة حوالى ٧ سنوات.. رغم الضرب والطرد.. ورغم أننى لم أكن أراها لكن كان من الجائز أن أسترق النظر إليها وهى واقفة فى الشباك أو البلكونة.. فتزداد دقات قلبى.. كنت أحس ساعتها بأن قلبى سيقع من صدرى، كنت فى ذلك الوقت قد أنهيت المرحلة الابتدائية ودخلت المرحلة الإعدادية ثم دخلت ثانوى وتحول اهتمامى بالعلوم إلى اهتمام غير عادى . . لدرجة أنه كان عندى « معمل اختبار فى منزلى».

وأغرقت نفسى ليل نهار أنا وصديقى فرج بالعلوم التى كنت شغوفا بها :كهرباء وبطاريات وجهاز تقطير وميكروفون وسمكرة ورسم على الورق وتنفيذ أجهزة.. كنت أغرق نفسى فى فترة الإجازة فى معمل العلوم فى منزلى، ولولا ذلك لوقعت فى الحب لشوشتى! لأنتى إنسان عاطفى للغاية!

وكنت أيضا أكتب الشعر والزجل والقصص فى هذه المرحلة من حياتى، ثم دخلت كلية الطب التى كانت قاسية جدا فى دراستها ، ولا تعطى للطالب فيها فرصة لكى يلتفت يمينا أو يسارا.. وأنا كنت أحب «الطب» وأعشق المشرحة!! كنت أول طالب يدخل المشرحة وآخر من يغادرها!!. لدرجة أنهم أطلقوا على «لقب» المشرحجى!.

أتذكر أننى فى الإجازة اشتريت نصف إنسان ميت بـ ٦٠ قرشا والجثث فى كلية الطب هم موتى بلا أهل.. ويتم تفريغ الدم أولا من أجسادهم ويوضع بدل الدم صبغة ثم تحقن الجثة بالفورميلين وتوضع فى حوض لفترة. وهذا ما يسمى ويطلق عليه «التحضير». ونصف الإنسان الميت الذى اشتريته كان جاهزا ومحضرا.. حملته تحت إبطى بعد أن وضعته فى بالطو وكان ثقيلا فى حمله..

وكان يتساقط منه الصبغة، فقابلنى الدكتور صادق وكان مدرسا فى كلية الطب ويسكن معنا فى نفس العمارة فمن الوهلة الأولى أدرك ما أحمله.. فقال لى:

اشتريته بكام؟!

فقلت له: بستين قرشا!!

فقال لى: شد حيلك!

مضيت إلى المنزل وأنا سعيد بما أحمل ! ووضعته فى صحن من الفورميلين لكى ينشف.. فشاهدتنى أمى وأصابها الهلع والخوف وصرخت بأعلى صوتها:

أيه ياابنى اللى أنت جايبه دا؟ ما هذه المصيبة ؟!.. فى منزلى بنى آدم ميت!!.

حرام عليك.. وماذا يفعل إذن أهله الذين يذهبون إلى القرافة.. ويجدون القرافة فاضية؟!

فقلت لها: أعذرينى.. أعمل أيه.. لابد أن أدرس عليه لكى أنجح !وأغلقت علىّ باب حجرتى .. ووضعته تحت سريرى! نصف إنسان ميت عاش معى أربعة شهور!

وكانت النتيجة أننى أشم وأتنفس فورميلين أزمة صحية ونزلة شعبية

لاتزال آثارها حتى الآن. فحنجرتى سيئة من يومها!

على أية حال ظللت طيلة هذا الصيف أشرح فى هذا الإنسان وأدرس كتب التشريح.

والحقيقة أن مسألة التشريح هذه وشراء الجثث كانت مسألة غريبة جدا ، فقد كان لى صديق فى طنطا اسمه-"أنطوان" وكان والده صاحب أجزاخانة وكان زميلا لى فى كلية الطب.. وكان يسكن في آخر دور من إحدى الكنائس فى حجرة صغيرة فوق سطح هذه الكنيسة.. انطوان هذا اشترى جثة إنسان بكاملها.. ولكن كيف يصعد بها حيث يسكن فى الكنيسة.. فى الدور الأخير منها؟!.. ألبس الميت بدلة وحمله فى حنطور.. ولكن كيف يحملها إلى الدور الثالث من الكنيسة، لأن الكنيسة بالطبع بلا مصعد.. ولهذا اختار الساعة الواحدة ليلا وحمل الجثة على كتفه وصعد بها حتى الدور الثالث من الكنيسة بهدوء وتصادف وقتها أن كان الشماس يعمل عملية مرور على الكنيسة ليلا ولكن أنطوان استطاع أن يختفى بالجثة خلف إحدى الأعمدة.. على طريقة أفلام هيتشكوك!

المهم استطاع أن يضع الجثة فى حجرته وأن يتقعها فى الفورميلين

ويدرس عليها طيلة الإجازة وأن يتفوق.. فقد كان صديقى أنطوان حقيقة إنسانا لطيفا وظريفا ومتفوقا لكن مسار حياته تغير تماما بعد زواجه فقد كانت زوجته تلعب «القمار» الذى غير من أخلاقياته تماما .. فهذا الشاب الوديع اللطيف أفسد عقله القمار فرفع قضية حجر على والده على أساس أنه أصابه الجنون لكى يحصل على أمواله فشكا والده إلى نقابة الأطباء التى أثارت ضجة كبيرة وفصلته من النقابة وسحبت منه ترخيص العمل وسافر أنطوان بعد ذلك إلى أمريكا ثم إلى استراليا ولا أعرف أخباره الآن ، لكن لاشك أن قصة حياته مثل قصص ديسكوفسكى.. الإنسان الطيب الوديع الذى تتدخل فى حياته ظروف تغير مسار حياته تماما.. فالقمار يمكن أن يهدم حياة الإنسان.. يغير مسار حياته رأسا على عقب!

● **د. مصطفى محمود.. بصراحة مطلقة.. ماهى تجربتك الأولى مع الخموروالأفيون..؟!**

●● أيام زمان كنت أذهب مع الجماعة اليساريين إلى الحفلات التى كانوا يذهبون إليها، حفلات السفارات وغيرها، وكانوا يشربون الويسكى والشمبانيا وكنت أشرب معهم!.. ولكنى أحسست أنها ليس لها طعم بالمرة وكانت تجعل جسمى ثقيلا جدا ولم أكن

أحب ذلك!.

جربت كل أنواع الشرب فوجدتها سخيفة، وتأثيرها سيئ ، كانت تجعل جسمى «همدان» وأصاب بحالة من الخمول، ولهذا فلم أحب الخمور ولم أعرف لها طعما!..

أما بالنسبة للأفيون فأتذكر أننى حين كنت طبيبا للأمراض الصدرية فى مصحة ألماظة، وكنت أكتب فى نفس الوقت فى مجلة روزاليوسف، وذات يوم من هذه الفترة كان من المقرر أن تقام حفلة فى منزلى يحضرها بعض المطربين والفنانين وكان مدعوا إليها بعض الكتاب من الأصدقاء ولكننى أصبت صباح يوم الحفل بانفلونزا صاحبها صداع شديد جدا ، وكان معى زميل طبيب فى مستشفى مصحة ألماظة يدعى د. فاروق فشكوت إليه هذا الصداع الفظيع، والحفل الذى دعوت إليه مجموعة من الأصدقاء للاستماع إلى صوت مطرب جديد فى منزلى فقال لى د.فاروق ولا يهمك.. خذ هذه!..

قلت له: ما هذا؟!

قال لى: إنها تسمى «البوسطاية»!

خذها وادعُ لى.. إنها ستضيع كل الصداع والانفلونزا!

وأخذت قطعة الأفيون ووضعتها تحت لسانى وبالفعل زالت جميع أعراض الصداع.

وفعلا الأفيون تستعمل مشتقاته بمقادير طبية فى أحوال كثيرة..

وانتهى الحفل على خير.

ولكنى رقدت بعدها ثلاثة شهور كاملة لأن تأثير الأفيون غير طبيعى.. فهو مخرب حقيقة لصحة الإنسان.. وهو يوهم الإنسان لحظة وساعة تعاطيه بإحساس الراحة فقط ولكن المرض.. والانفلونزا موجودة وتكون النتيجة الطبيعية أن تنتشر الانفلونزا فى كل مكان تحت غطاء مخدر الأفيون!.. وكانت النتيجة أننى من جراء تعاطى هذه «البوسطاية» من الأفيون أننى أصبحت طريح الفراش لمدة ثلاثة شهور كاملة!.

● وماذا عن تجربة الحب الناضج فى حياتك؟!

●● علاقة الحب الحقيقى الأول فى حياتى لا أنساها حتى الآن.. كنت أحبها بجنون وأحبتنى بجنون ولكن جنون الحب هذا هو السبب الأول فى إخفاقه.. فالإنسان نفسه كان له اعتبار.. كنا صغيرين.. والشباب فى بواكيره تكون عواطفه غير مستقرة.. وحدثت الغيرة القاتلة لهذا الحب الجنونى والتى غالبا ماكانت

تنتهي بخلاف وخناقة كل مرة، وذهب كل واحد منا فى طريق.. رغم أننى كنت أحبها حقيقة حبا جنونيا ولكن الغيرة وقفت حائلا دون استمرار هذا الحب.. الغيرة لأنها كانت فتاة صغيرة.. معصفرة.. تحب كل يوم أن تطير على شجرة وأنا لا أحب ذلك.. لاأطيقه! الغيرة ياسيدى فى هذه السن كانت قاتلة!

● هل لاتزال تتذكر حبك الأول حتى الآن؟!.

●● نعم.. الحب الأول أتذكره جيدا حتى الآن.. أتذكره لأن تأثيره كان عنيفا جدا ولأنه انقطع فجأة بثورة عنيفة جدا قبل مايكتمل..

● ماذا إذا عاد التاريخ من جديد . ماذا لو صادفتك حبيبتك الأولى الآن هل كنت ستكرر معها نفس التجربة؟!

●● سيحدث نفس ما حدث.. فلو رأيتها مرة أخرى فسوف أحبها مرة ثانية! سوف أحبها بدون شك على الفور!.

كانت جميلة نسخة مطابقة تماما لوجه نفرتيتى!

●وحين تراها الآن بعد أن تزوجت وأنجبت ما هو شعورك؟

●● حين أراها الآن تعطينى إحساسا بالحنين القديم.. فلا تزال لها معزة فى نفسى وقلبى حتى الآن.. فقد عاش هذا الحب فى قلبى فترة طويلة جدا.

● **هل أحببت الحب الجنسي الشبقي؟!**

●● لابد أن تعرف أن الرخصة الوحيدة التي لابد أن تكون بيني وبين أية امرأة ليست هي الشهوة.. فالشهوة وحدها لاتكفي في نظري.. ولم تكن الشهوة هي الرباط بيني وبين أي إنسانة عرفتها في حياتي ، فالحب شيء أساسي وضروري ومن أجل ذلك كانت علاقاتي قليلة..

● **د. مصطفى محمود.. أنت جربت الخمر والأفيون.. هل كان لك تجربة مع الجنس قبل الزواج؟!**

●● كأي شاب حدث ذلك! فأنا شخص عادي ولقد مررت بخطيئات الشباب كأي شاب!.. وليس هذا له استمرار بدون حب مطلقا فالحب هو الشيء الوحيد الذي يجعل العلاقة تستمر، أما الجنس فلا يكفي أبدا لأن يقوى علاقة بين رجل وامرأة، أو أن يضمن لها الاستمرار.

ومن أجل ذلك فالحب شيء ضروري وأساسي في حياتي.. وأنا أعتقد أن الرجل لايستطيع أن يعيش بدون امرأة، ولهذا كانت هناك استحالة أن أعيش خلال مراحل حياتي كلها بدون إنسانة تقف بجانبي وأقف بجانبها.

بالتأكيد اختلفت نوعية هذا الحب من مرحلة إلى أخرى. فى الشباب كان يمكن أن تكون هناك لمسة الشهوة بحكم فورة الجسم ومطالبه ، لكن تغير هذا مع الوقت وأصبحت علاقتى بالمرأة حبا عميقا، فالمرأة ضرورية عندى وضرورة المرأة الآن أنها صديقة!

● اسمح لى د. مصطفى محمود.. لماذا تزوجت مرتين وفشلت فى زواجك فيهما على الرغم من أنك كثيرا ماتضع حلولا للمحبين. والمتزوجين، ولك كتاب شهير فى هذا الموضوع « ٥٥ مشكلة حب» هل باب النجار مخلع كما يقولون.. أم أن أعصاب الكاتب أصبحت لاتتحمل أية زوجة؟!

●● هذا صحيح كما تقول.. لقد تزوجت مرتين وفشلت فى المرتين.. وربما هن معذورات.. لأن لدى مشكلتين وليست مشكلة واحدة فقط.. فبجانب مسألة الكاتب والمؤلف هناك أيضا مشكلة أننى صاحب رسالة.. وأعتقد أنت شاهدت معى من خلال جولة قمنا بها فى هذا المركز العلمى المتقدم وكذلك مستشفى محمود.. فنحن نحاول أن نؤدى رسالة سامية للإنسان أولا دون أى اعتبار لأية ماديات.. ولهذا فالإنسان يفنى فى هذه الرسالة السامية.. وتكون النتيجة أننى أستغرق نفسى نهائيا فى العمل..

فكيف تتحمل زوجة أن تعيش مع إنسان مستغرق بكل كيانه فى العمل؟ إننى حقيقة لاأستطيع أن أظلمهما.. فماذا يبقى منى لهما؟ والمرأة إذا تحملت بعض الوقت فلن تستطيع أن تتحمل كل الوقت فسوف يأتى عليها وقت تكفر فيه!

● ما هى قصة زواجك الأول وهل جاء عن حب.. ولماذا فشل إذن؟

●● نعم.. زواجى الأول جاء عن حب فعلا.. حب جنونى حقيقة .. هى اتصلت بى فى التليفون وقابلتها ومن أول وهلة وأول لقاء أحببتها.. كانت جميلة.. تزوجتها بعد رحلة طويلة من التلطيش والحياة غير المستقرة وكنت قد أصبت بحالة مرضية.. نوع من الإسهال الغريب احتار الأطباء فيه.. ونقص وزنى عشرة كيلو جرامات وأصبحت مثل الرنجة.. وكل دكتور كان له تشخيص مخالف للآخر.. وعشت مرحلة من الإحساس بالخوف والرعب.. لأنَّ تشخيص معظم الأطباء كان يدور حول مرض غريب،، معناه أننى سوف أعيش ستة شهور فقط وأموت!

وأيامها ذهبت للطبيب الكبير أنور المفتى فقال لى: حسما للأمر

وبدلا من الحيرة سنعمل لك تحليلاً للهرمونات فهذا المرض الغريب يصيب غدة هرمونية معينة فوق الكلى والتى يصاب بها لايعيش أكثر من ستة شهور ويموت!

وبالفعل أجرى لى الدكتور المفتى دراسة على الهرمونات بكلية الطب وتنفست الصعداء حين عرفت أننى غير مصاب بهذا المرض الخطير والغريب واللعين.. ولكن ظلت حالتى مع ذلك محيرة.

فقلت للدكتور المفتى: أنا عاوزك يادكتور تفتح بطنى وترى بعينك المجردة ماذا بها؟!

فلم تكن المناظير قد ظهرت حتى ذلك الوقت والتى يستطيع من خلالها الطبيب أن يرى أى جزء من داخل جسم الإنسان.

وما أن قلت للدكتور المفتى: عاوزك تفتح بطنى حتى استغرق فى الضحك وقال لى:

تعرف لولا أنكِ دكتور ما سألت عنك.. ولكن لأنك دكتور ومسئول فسوف أفتح بطنك فعلا!

واتصل بالدكتور أبو ذكرى وحجز غرفة العمليات وأذكر يومها وبعد أن أفقت من تخدير العملية:

قال لى الدكتور المفتى :

تصور مصارينك ألماظ.. قطعة جواهر!

لم نجد شيئا ولكن بالمرة عملنا عملية للمصران لأننا وجدنا من حوله بعض الدهن.

فقلت له: وماذا أفعل بعد ذلك؟

فقال لى: تأكل كل الممنوعات التى قال لك عنها الأطباء من قبل وكنت ممنوعا بأمر الأطباء من أكل كل شيء إلا السمك والموز! كنت لا أتناول إلا قطعة من السمك وموزة! وظللت على ذلك عاما كاملا!

فالدكتور المفتى قال لى: كل الممنوعات مصرح بها لك الآن.. ولابد أن تغير نظام حياتك فإذا كنت عازبا فتزوج!

والحقيقة إننى اقتنعت بوجهة نظره.. فمادام كل شيء فى سليما فما هى أسباب هذه الأمراض التى تنتابنى.. فلابد أن هناك خطأ ما فى حياتى وأن نفسيتى بها شيء ما خطأ ولابد من تغييره!

المهم فوجئت «بسامية» وهذا هو اسم زوجتى الأولى تتصل بى فى التليفون ولم أكن أعرفها من قبل ثم التقيت بها وحدث الإعجاب وتزوجتها وكأنما ساقتها الأقدار على هذا الموقف الذى عشته، والذى استتبع ضرورة تغيير مسلك حياتى:

واستمر هذا الزواج ما يقرب من عشر سنوات كانت «سامية» غيورة جدا رغم أنها كانت تصغرنى بـ ١٥ عاما فإذا وجدت شعرة على جاكتتى تكون كارثة مصيبة.. مع أن هذه الشعرة يمكن أن تكون شعرتها هى !

ذات يوم وجدت فى جيبى «تذكرتين» سينما.. بهدلتنى وكانت حكاية كبيرة قلت لها التذكرتين دول.. بتوعنا أنا وأنت.. سبق وأن دخلنا بهما السينما الأسبوع الماضى ولكن طبعا بعد خناقة وبهدلة كبيرة !

رقابة على التليفونات.. وتفتح خطاباتى.. وتحولت حياتى إلى جحيم لايطاق! فأنا كنت متهما بشىء لم أفعله.. وكانت حكاية كبيرة.. ومشكلة أكبر .. فلكى أكتب لابد أن أسافر.. كل كتبى فى هذه الأيام كتبتها فى الفنادق والبلاد التى سافرت إليها ... فلقد سافرت أيامها إلى السودان ورحلات إلى الصحراء الكبرى والغابات الاستوائية.

لم أكن أكتب مطلقا.. لأن حياتى تحولت إلى مشاكل لاتنتهى! كانت توقظنى فى منتصف الليل وتنزل على «ضرب» بلا سبب فأقول لها: فيه أيه ياستى بتضربينى ليه؟!

فتقول لى: حلمت أنك كنت مع واحدة ست فأقول لها: ماتحلمى ياستى.. هو لازم حلمك يبقى صحيح هو أنت السيدة نفيسة!

لكن ما عدا ذلك فهى إنسانة طيبة وست بيت وهى أم الأولاد (أمل) و (أدهم)..

«أمل» خريجة كلية الآداب قسم فرنسى وهى متزوجة.. أما أدهم فهو فى السنة النهائية بكلية التجارة.

ولكن للأسف كانت حياتنا جحيم مع (سامية) زوجتى الأولى فلم أستطع أن أعيش حياتى معها فطلقتها وتركت لها كل شىء.. تركت لها الشقة وكانت على النيل بجوار الشيراتون.. وتركت لها كل شىء وخرجت ببجامتى فقط!

بعد ذلك كانت مرحلة صيام عن المرأة حوالى أربع سنوات!

● **ولماذا تزوجت ثانية رغم هذه التجربة القاسية عليك؟!**

●● بعد ذلك ظللت أربع سنوات صائما عن الزواج من الرعب الذى رأيته! ولكن بعد ذلك عادت لى طبيعتى.. وأنا لاأستطيع أن أعيش بدون امرأة فكيف يحدث ذلك؟! هل من غير زواج؟! طبعا مش ممكن لأننى أصبحت ذلك الرجل المتدين فدخل الدين هنا

كعامل هام فى حياتى إذن لم يكن هناك أسلوب للتوفيق.. يعنى أولا.. أنا محتاج لإنسانة.. فكيف تكون معى هذه الإنسانة التى أحتاجها بدون زواج؟!

كنت زمان وأنا شاب صغير لاتهمنى مسألة الارتباط بالزواج، لكن الآن أصبح لى قناعات وقيم أخرى.. ثم كنت أيامها قد انتهيت من بناء الجامع وبدأت أعيش فيه فكنت فى مسيس الحاجة إلى إنسانة تكون رفيقة الهدف، إنسانة تتحمل معى رحلة الحياة.. وتكون رفيقة هدف نريد أن نصل إليه سويا متشابكى الأيدى فهى التى دخلت إلى من هذا الباب باعتبار أن هدفى هو هدفها التى تحلم أن تصل أو نصل إليه سويا.

كانت مأمورة ضرائب وكنت أنا ثالث زواج لها.

● د. مصطفى محمود.. من المؤكد أن الرجل سوف يتردد كثيرا قبل أن يقدم على الزواج من امرأة سبق لها الزواج مرتين من قبله.. فلماذا أقدمت على الزواج من "زينب" زوجتك الثانية هل لأن والدتك تزوجت هى الأخرى ثلاث مرات؟!

●● لا..لا..إطلاقا! ولا فكرت فى هذه المسألة مطلقا ، كون أن والدتى كان لها زواج قبل ذلك.. فهذا من الطبيعى بالنسبة للجيل

نفسه.. فليس هناك ارتباط بين الاثنين . ولكن الشيء الجديد الذى أحسسته فيها هو مسألة الدين، ورغبتها فى أنها تفكر فى نفس الهدف.. وأنها تريد أن تكون معى شريكة هدف نصل إليه معا.

فأنا كنت محتاجا لإنسانة تقف بجانبى ولأن رحلة الحياة سوف تكون جافة من غير امرأة!

وهذا الزواج استمر أربع سنوات فقط وكان الطلاق!

● ولماذا كان الطلاق.. لماذا لم يصمد الزواج الثانى لك؟!

●● لم تستطع "زينب" وهذا اسم زوجتى الثانية أن تثبت الزعم الذى قالته.. واكتشفت أنها إنسانة عادية خالص!.. كانت امرأة تريد أن تعيش الحياة.. وكانت حياتى قاسية جدا عليها.. فكيف تعيش معى فى حجرة فى جامع.. فالحياة أصبح لامعنى لها فى نظرها.. مع أنها كانت تعلم ذلك من الأول..

بل بالعكس قالت: إنها تحب هذه الحياة جدا!

وزينب كانت مثقفة دينيا وكانت محجبة ولديها موهبة وحساسة ، ولكنها فى النهاية امرأة عادية تريد أن تعيش زوجة لكاتب كبير.. كانت تعتقد أنها متزوجة من كاتب معروف وبهذا يحق لها أن تتردد على باريس ولندن وأوربا، وتعيش حياتها مرهفة وليس فى حجرة

على سطح جامع!.. طبعا كان لها أولادها من أزواجها السابقين ثلاثة أولاد.

وأحسست بعد مرور عام على زواجنا أن كلا منا يدور فى فلك ثان ولم تعد تفكر فى الهدف الذى تعاهدنا أن نصل إليه سويا!.

● **ولماذا قتلت الحب فى أعماقك..؟!**

●● أنا لم أقتله.. هو لايعيش!.. أنا لا أحب أن أقتله فهو قصير العمر!.. أنا لا أقتله وأنت لا تقتله ولكنه قصير العمر! فالحب الوحيد الباقى الطويل العمر هو علاقتك بالله سبحانه وتعالى.. خاصة إذا ما ترجمت هذه العلاقة فى أفعال تحس، ولذلك فإن حبك للناس يمكن أن يكون فى الله أيضا.

الآن من الصعب أن تجد الحب النادر مثل الذى كان بين النبى ﷺ والسيدة خديجة رضى الله عنها التى أعطته نفسها ومالها وصحتها وعمرها بكل سعادة.. وهذه نماذج نادرة،، أو تجد مدام كورى.. وقد عاشا فى حب وتفان حتى أصابهما السرطان من خلال الراديوم.

فى بعض الأحيان بل نادرا ما يجد الإنسان شخصا يفنى معه فى الهدف أيا كان.

● وهل تجد من يغني معك الآن؟ هل تعيش قصة حب الآن؟!

●● الآن ليس هناك قصة حب.. ولو أن الحوار لا ينقطع بيني وبين الجنس الآخر أبدا.. ولكن الحب بالمعنى المعروف لأعيشه الآن فعلاقتي بالله هي الأبقى..

فأنا تلقيت دروسا طويلة وعميقة وعرفت حدود هذا الحب.. ثم إن مشكلة المرأة أنها تستنزف منك شيئا غاليا جدا.. هذا الشيء اسمه.. الاهتمام.. أو يسمونه الهمة.. التي هي أغلى مايملك الإنسان.. لأنها الطاقة النفسية البحتة.. وحين تحب وتنشغل وتسهر.. هذا الانشغال هو ضياع الهمة لأن همتك تصبح حينئذ في المحبوب ويضيع منا أغلى ما تملك.. وأنا مش فاضي ياعم محمود لأن يضيع مني «وقت تاني»!

● ولا حتى تتوقع أن تجد هذه الإنسانة قريبا؟!

●● أنا لا أفكر نهائيا.. أنا عارف نوع حياتي.. فمن الصعب فيها الشركة.. فالحياة أصبحت نوعا من الفناء في الهدف وهذا صعب فيه الشركة وأنا لا أريد أن أعذب روحي.. ولهذا فقد عملت مصدات لقلمي عن رياح هذا الحب!

● قلت ذات يوم: إن الحب والهوى خداع ألوان.. هل مذهبك في

الحياة أن تقاوم ماتحب؟!

●● نعم مذهبى أن أقاوم ماأحب وتحمل ماأكره!

باعتبار أن الحب الحقيقى الباقى هو حب الله سبحانه وتعالى.. أما الحب والهوى فهو خداع ألوان. ٩٩٪ منه خداع ألوان.. والذى جرب يعرف ذلك جيدا.. يسهر وينشغل.. أكثر من حب بدأ عظيما عنيفا ثم هدأ وبعد فترة تحول إلى عداوة!

● هل من الصعب على الكاتب المستغرق بكيانه فى عمله حتى العيادة مثلك أن يعيش مع زوجته تحت سقف واحد؟!

●● من الممكن جدا أن تلتقى الأهداف مثلما حدث لمدام كورى وزوجها كورى ومثلما حدث أيضا - وهذا هو المثال الأعظم- للرسول ﷺ والسيدة خديجة وهو نموذج فريد وسوف تجد فى التاريخ نماذج ولكنها نادرة.. أذكر أننى قدمت حلقة خاصة عن القرود فى برنامج العلم والإيمان واكتشفت أن السيدة الباحثة الأجنبية التى أعدت حلقات القرود قد تزوجت من مصور هذا الحلقات التى استغرقت «شهور وسنين» فى الغابات.. فقد تزوجا فى النهاية.. لأنهما اكتشفا أنه يجمعهما هدف واحد.. حتى ولو كان القرود!.. الهدف الواحد بين الزوجين وهذا ماتجده فى أوروبا!

● د. مصطفى محمود.. صدر لك كتاب مؤخرا بعنوان «عصر القرود».. هل نحن حقيقة نعيش عصر القرود كيف؟!

●● بشكل كبير طغت الماديةطغيانا طفيفا غريبا على العالم، فعلى الرغم من أن باريس ولندن ونيويورك عواصم النور والحضارة إلا أنها تحولت إلى بلاد العلاقات الجنسية المنحلة والشذوذ والمخدرات والهيروين وأصبح هو عالم «الهلس والفجور».. فالرجل متزوج وله أكثر من عشيقة وزوجته لها أكثر من عشيق.. فقد سيطر الإحساس باللذة والمتعة على حياة الناس وأصبحت حياتهم نوعا من الأخلاق القرودى وتحولت حياتهم من الرقى والسمو إلى الانحلال والفجور.

● لكل إنسان عقدة فى حياته تقبع فى أعماقه ولا تضيع من الذاكرة مهما حاول أن يقتلها فى نفسه.. فما هى عقدة مصطفى محمود؟!

●● هى ليست عقدة، ولكن يمكن تسميتها بالمشكلة ، فأنا ليست لدى «عقدة» ويمكن «مشكلة» !.. ففى بواكير الطفولة أحسست أننى لاأستطيع أن أجرى وأضرب وأصارع .. حالتى الصحية لم تكن تسمح بذلك، ولهذا اخترت كلية الطب عن اقتناع لأننى أريد أن أعرف أسرار الصحة والمرض.

تستطيع أن تقول: إن المشكلة الكبرى فى حياتى والمستمرة حتى الآن.. هى الموت!.. والمرض هو رمز الموت.. أو هو بداية الموت، أو عينة صغيرة منه لأن الذراع تموت.. والساق تموت.. والأسنان تموت.. وهذه هى المقدمة الصغرى للحدث الكبير.. فالمرض والموت أشد مايشغلنى وهما «المشكلة» وليست العقدة عندى!

وأعتقد أنها مشكلة كل الناس فى العالم... إننى أحس طول الوقت أننى أحمل الموت داخلى وأشيع كل يوم قطعة فى!

عندى إحساس قوى بأن الموت ساكن معى! وكأننى أحمل «كفنى» وأسير؟!

وأنا أصدرها علميا بأن الإنسان حين يستجمع ويغرك جسده تسقط بعض الخلايا الميتة، كذلك اللعاب تنزل منه الخلايا الميتة.. كذلك دم الإنسان فيه كل ساعة ٦٠مليون خلية من الخلايا الحمراء تحدث فيه، وكذلك الخلايا البيضاء..

أما مصيرها فهو شحن جثثها حتى الكبد.. والكبد يمكنه التعامل مع كل هذه الجثث جميعا وتنقصها وتحولها إلى مرارة وصفراء.. فالجسم يتعامل مع كل هذه الجثث يحللها ويستفيد منها، ويحولها إلى عصارات مختلفة.. لكن الموت يعمل داخلك وأنت

لاتدرى؟!.. المعركة دائرة داخلك ليل نهار تموت فيها خلايا وأنت لاتدرى؟!.. إذن الموت ليس مجرد لفظ ولكن «واقع» داخلك فالموت داخلك وفى نفس الوقت فإن هناك خلايا تولد وتتجدد.. يعنى الإنسان لما يكح شوية فإن «البلغم» الذى يخرجه من فمه نتيجة التلوث فى الجو هو فى الحقيقة خلايا ميتة.. فالموت شغال.. فعملية الهدم والبناء تتم داخلك فى نفس الوقت، فإذا كان البناء غالبًا فأنت شاب أما إذا كان الهدم هو الغالب فاعرف أنك دخلت مرحلة الشيخوخة.. لكن الهدم قائم منذ لحظة الميلاد.. منذ أول ميلادك والهدم داخلك، لكن البناء غالب عليه حتى يحدث توازن للإنسان فى سن الأربعين ثم يبدأ الإنسان بعد ذلك فى نزول سفح الهدم الذى يتزايد داخله.. فأنا أحس بالموت.. أحس بوقع أقدامه وهى تقترب منى!

● ولكن الفيلسوف باسكال يقول: شيئا لايستطيع الإنسان أن يحدق فيهما: الشمس والموت؟!

●● لا.. أنا دائما وباستمرار أحدق فى الموت.. تقدر تقول عينى فى عينه!.. ويمكن الثروة المعرفية التى حصلت عليها خلال دراستى فى كلية الطب لمدة سبع سنوات هى أننى وضعت عينى

على موت الخلية عندى فى الميكروسكوب. ولقد خصصت حلقة كاملة من برنامجى التليفزيونى «العلم والإيمان» عن موت الخلية، فأنا إنسان محدق فى الموت لدرجة أننى كنت أتوقع دائما أننى سأموت مبكرا!.. بل إننى كنت أتوقع ألا أكمل أربعين عاما من عمرى ! والآن أنا فى دهشة إننى تجاوزت الستين!!

فالموت يعيش معى بين ضلوعى، ويسيطر على عقلى ووجدانى ، مشكلة تصاحبنى دائما أينما ذهبت ، والموت مرتبط عندى بميلاد الفن، وميلاد الدين وكل القيم الكبيرة ·لأن إحساسك بأن كل شيء سينتهى، يجعلك تسعى جاهدا لأن تفعل شيئا قبل أن تولى الحياة وتوارى التراب.. فالحياة إما أنها هزل وتهريج، وإما جدية وعمل وإصرار قل ماتشاء من أن الحياة تافهة ولاتستحق، وأنها هزل وهجص وكلام فاضى.. قل ماتشاء لكن الحقيقة غير ذلك تماما، فالحياة نظام محكم ودقيق للغاية ونوع من الشيخونية المنطقية..

فلا شك أن هناك امتدادا لما نراه فى الحياة ، وأن الموت ليس نهاية المطاف ولكن بداية.. ولهذا فإن الإنسان حريص على أن يفعل شيئا مادام هناك متسع من الوقت يكفى لذلك.. فإحساسى بالموت كان من الأسباب الحافزة لى على العمل والإنجاز والنجاح.. لابد أن

تذاكر وتفعل شيئا قبل فوات الأوان.. وهذا هو السبب فى إنشاء جامع مصطفى محمود والمركز الطبى المتقدم فيه والسبب أيضا فى زهدى فى الحياة وضرورة أن أتحلى بالقيم الدينية والمثل العليا.. كل ذلك للإحساس المسيطر علّى والمهيمن على كل كيانى وهو أنه لم يعد فى العمر متسع من الوقت!



من الشواء علي نيران عبد الناصر
إلي بروسترويكا السادات !

- كتبت عن هتلر فرفدني عبد الناصر !
- هيكل قال لي بعد عام من منعي من الكتابة :

  اية أنت استويت ؟! وكأنني لحمة مشوية !!
- عبد الناصر بني السد العالي لكنه هدم الإنسان المصري !
- د. أنور المفتي قال لي : عبد الناصر مصاب بجنون العظمة !
- الاشتراكية خرجت من هيكل .. وعبد الناصر لايعرف عنها شيئاً !
- هيكل كان يعتقد أنه الوريث الشرعي للحكم بعد رحيل عبدالناصر !
- حادثة اغتيال عبد الناصر في المنشية كانت تمثيلية !
- السادات قال لي :

  هو فيه حد بيعرف يدير مراته !



● د. مصطفى محمود .. كتبت مقالتك عن النازية فى مجلة صباح الخير فى الستينات فجلست فى المنزل عاما كاملا ؟!

●● من الأشياء الغريبة التى صادفتنى فى حياتى أن أكتب عن هتلر فيرفدنى عبد الناصر عاما !

● هل السبب الحقيقى فى منعك من الكتابة هو مقالتك الشهيرة عن هتلر والنازية ، أم أن هناك سبباً خفيا آخر ؟! وكيف بلغت بقرار إيقافك ؟!

●● بعد أن كتبت مقالة عن هتلر .. فوجئت بإيقافى عن الكتابة مباشرة .. لم يقل لى أحد عن سبب منعى من الكتابة ، ولكنى بلغت من إحسان عبد القدوس ، قال لى يومها :

- خليك فى البيت ماتكتبش !

قلت له : أيه يا إحسان اللى حصل ؟

فقال لى : دى أوامر !

والحقيقة أننى أخذت الموضوع ببساطة لأن الجميع ابتداء من إحسان عبد القدوس إلى مفيد فوزى حصلوا على حصصهم من عبد الناصر ، منهم من سجن ومنهم من رفد ومنهم من تعرض لمصاعب كثيرة ، فقلت فى نفسى ، إن حظى أفضل من غيرى فقد منعت من الكتابة فقط .



هيكل في صورة نادرة يشوي لحما

قال هيكل لمصطفي محمود : ايه انت استويت وكأنه لحمة مشوية !!.

● د. مصطفى محمود .. بعد هذا العام استدعاك هيكل إلى مكتبه وقال لك : أية أنت استويت ؟! .. لماذا قال لك ذلك ؟ هل كنت لحمة مشوية ؟!

●● وضحك د. مصطفى محمود قبل أن يقول :

قال لى: هذا فعلا حين دخلت عليه مكتبه .. قال لى : هيه أنت استويت ؟ ويبدو أنهم كانوا يريدون أن يسوونى على السفود ويرعبونى !

● سألت هيكل : لماذا منعت من الكتابة عاما ؟ فبماذا أجاب عليك؟!

●● كانت إجابته : لاتفكر في شيء.. ارجع اكتب وخلاص .. ولم يتحدث في هذا الموضوع مطلقا .. فأنا قلت له : أريد أن أعرف غلطتي حتى لأأعود إليها .. ما هي الغلطة التي ارتكبتها ؟ فقال لي: لاتفكر في شيء .. ارجع واكتب تاني!

● د. مصطفى محمود .. وهل من أجل ذلك هاجمت عبدالناصر في مقالتك الأخيرة «سقوط اليسار» ، التي نشرت منذ أسابيع قليلة ، والتي قلت فيها أنه قدم ٥٠٪ رشوة للعمال والفلاحين وأنه حول الجامعات إلى كتاتيب ؟!

ألست متجنيا على عبد الناصر ؟ أليست له حسنات وايجابيات في نفس الوقت ؟!

●● سبحان من يحصى على أحد أخطاءه وحسناته .. لكن أنا أرى أن أخطاء عبد الناصر كانت أكثر كثيراً من حسناته .. افرض أنك بنيت سدا أو مصنعا ولكنك هدمت إنسانا .. ما الفائدة إذن ؟ ليس هناك أي شيء في هذا الوجود يساوي أن تهدم الشخصية المصرية وتهدم الإنسان .

وإذا كنا بصدد الحديث عن الإنشاءات ، فإنه في عهد الرئيس حسني مبارك ، ومن قبله الرئيس السادات ، أنشئت مدن كاملة ومجموعة من الإنشاءات ، وكذلك محطات الكهرباء التي أنشأها

ماهر أباظة ومشاريع المجارى هذا فضلا عن البنية الأساسية ..

ألا يمثل كل ذلك إنشاءات تفوق السد العالى عشرات المرات بل لها تأثير مباشر على حياتنا دون أن يسجن فرد .. أم أنه لابد من إنشاء سد عال ، ثم فى مقابل ذلك نهدم الشخصية المصرية .

● **بعد ٣٠ عاما على إنشاء السد العالى هـــل يـــرى د. مصطفى محمود أنه كان خيرا على مصر أو وبالا عليها؟!**

●● بلاشك السد العالى مشروع حيوى وضرورى لتنظيم مياه النيل ، والسدود موجودة فى السعودية الآن أكثر من ٢٠ سدا على امتداد المملكة ، وحجمهم يفوق السد العالى أربع أو خمس مرات مثل سد أبها فى الجنوب .

الإنشاءات موجودة فى العالم كله ، وأبلغ دليل على ذلك هتلر الذي أنشأ الأتوستراد والتصنيع الألمانى الخرافى حتى وصل إلى الفبى تو الذى كان يضرب الصواريخ فتصل إلى قلب لندن.. ولكن ماذا حدث فى النهاية؟ ضرب بالأحذية !! فما الفائدة أن تبنى منشآت حديد وصلب ثم تدمر النا س؟ هذه هى القضية ؟

فأنا أضع المصنع فى كفة ، والإنسان فى كفة أخرى ولاشيء أغلى من الإنسان أبدا .

* * *

• هاجم د. مصطفى محمود الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وعهده من خلال مقالته الشهيرة «سقوط اليسار» والتى نشرها فى جريدة أخبار اليوم فى ٤ يوليو عام ١٩٨٧ والتى يقول فيها :

لوسئلت .. ماهى المشكلة المصرية التى لها الأولية المطلقة الآن .. لقلت دون تردد .. هى الفساد .

السرقة والغش وخراب الذمم والكسل والسلبية والأيدى الممدودة التى تريد أن تأخذ ولاتعطى ، والأصوات التى تطالب بالحق دون أن تنادى بالواجب والنهم والجشع وتعجل الربح وضياع القيم وعدم الانتماء. المواعظ لم تعد تجدى لأنها تخرج من أفواه لاتعمل بها ، الكل يهدى ولا مهتد .

لو سئلت .. ما السبب .. لقلت .. سقوط الهيبة .. وانعدام القدرة وتراخى قبضة الحكم فى محاولة لإرضاء الكل .

والحاكم الأمثل لا مفر له من أن يغضب البعض ، ويصدم البعض ويواجه البعض بما لايرضى .

لقد وقفت مسز تاتشر أمام إضراب عمال المناجم ولم تهادن ، ولم تلن وطرحت القطاع العام للبيع رغم الاحتجاج والهتاف وأصوات الاستنكار ، وأنقذت اقتصاد بلادها وعالجت التضخم وأعلنت أنهاعائدة لتستأصل الاشتراكية من انجلترا .. وحملتها أصوات

الأغلبية إلى الكرسى من جديد تقديرا لشجاعتها .

والإصلاح أحياناً يحتاج إلى جراحة وإلى إسالة بعض الدم لإنقاذ المريض من موت محقق ، والطبيب لايكون طبيبا إذا افتقد هذا الحد الأدنى من الجرأة ليجرح ويضمد عند اللزوم.

وفى مصر تركة من الأخطاء القاتلة لابد من مواجهتها فى جرأة .

مجانية التعليم الجامعى التى حولت الجامعات إلى مجموعة كتاتيب لاتعليم فيها ولاتربية ولاحتى مجانية (انظر الدروس الخصوصية) وأضعف الإيمان أن يحرم الطالب الراسب من هذه المجانية وأن يدفع تكاليف تعاليمه وإلا كان حالنا من يمول الفشل والرسوب والإهمال من الخزانة العامة. والخمسون فى المائة عمال وفلاحون فى مجلس الشعب التى لامثيل لها فى الصين أو الهند أو فى روسيا فى أى بلد رأسمالى أو اشتراكى والتى لم تكن سوى رشوة قدمها عبد الناصر ليستدر بها التصفيق والهتاف .

وحق التعيين لخريج الجامعة فى الوظائف الحكومية سواء وجدت هذه الوظائف أم لم توجد ، وسواء كانت هناك مسوغات وضرورات للتعيين أم لم توجد .. وهى رشوة أخرى وبدل بطالة قدمه عبد الناصر من خزانة مفلسة ترزخ تحت عبء الديون لكل عاطل متبطل ليقود له المظاهرات ويوقع على الاستفتاءات .

غوغائية زعيم أراد أن يكتل الشارع خلفه ليضرب به أى طبقة تناوئه.

الدرس الأول الذى تعلمه فى سنة أولى شيوعية .. فى كيفية الحفاظ على الكرسى .. اضرب الطبقات بعضها ببعض وأشعل فتيل الحقد الطبقى .. ثم احتفظ بعربة الإطفاء الوحيدة .. يلجأ الكل إليك ويقبل الكل قدميك .. ويستنجد بك الخصم والصديق .. لأنك تكون حينئذ مرفأ الأمان الوحيد فى بحر الفتن والأحقاد والتناقضات .

وهكذا فعل صاحبنا .. فقد وعى الدرس وطبقه بحذافيره . وهكذا ترك البلد بحرا من الفتن والأحقاد والتناقضات ، وميراثا من الخراب لكل من حمله من بعده .

ولم يجد السادات مفرا من أن يلقى بهذا الحمل على خليفته من بعده دون أن يبت فيه أو يواجهه . ولم يجد حسنى مبارك إلا أحد خيارين: أن يؤجل المشكلة ويلقى حملها على من يخلفه أو يواجهها برمتها وكلا الخيارين صعب .

ولكن هل كانت الزعامة دائما إلا الخيار الصعب ؟

وإنى أشفق على حسنى مبارك فكل خيار منهما باهظ الثمن .

ولو أنه أعطى نفسه تماما لمشكلة الاقتصاد والإنتاج واختار تأجيل المواجهة ، فإن التعليم بشكله الراهن لن يخرج له منتجين ، ولا التوظيف الحالى سوف يدفع بالإنتاج الدفعة التى يرجوها .. بل الهيكل الوظيفى التعليمى كلاهما يدفع بمصر إلى الوراء وإلى مزيد من التخلف والبيروقراطية وأصوات الخمسين فى المائة عمالا وفلاحين .. هى أصوات معوقة وهى فرملة القصور الذاتى والباكم الذى سوف يمنع أى تطور .. وأى زيادة فى الإنتاج سوف تذهب فى بالوعة الدعم والتضخم السكانى .. ثم لايجد فى النهاية مخرجا .. سوى أن يقترض ويقترض ويقترض .

ولو أنه اختار المواجهة سوف يحتاج إلى الجيش والبوليس للضبط والربط ويحسب العواقب وهو لايريد الملاحة فى العواصف ويخشى على الديمقراطية الوليدة من القوة ومن أجهزة القوة .

لكن بدون المواجهة لاإصلاح .. وإنما مجرد مسكنات ومراهم .. بينما الصديد يضرب فى الجرح والمرض يشتمل الجسد كله .

ومجانية التعليم الجامعى تغرى العمالة الريفية بأن تهجر الأرض ليحقق كل فلاح حلمه فى أن يصبح مهندسا أو طبيبا أو محاميا وينقلب معمل التفريغ البشرى فى الريف إلى مضخة تصب فى

اتجاه واحد من الريف إلى المدن إلى حيث مزيد من التكدس والزحام واختناق المرافق بينما تجف الأرض وتتصحر ولاتجد من يزرعها .

ثم يتراكم ألوف وملايين الخريجين الذين لايجدون وظائف تستوعبهم إلى كم هائل من البطالة يخلق مشكلة من حيث تصور الحاكم أنه يؤجل المشكلة وتدور الحلقة المفرغة لتضيق شيئا فشيئا على عنق النظام القائم ولهذا يخطط الرفاق اليساريون ويرسمون حيث يعتقدون واثقين أنهم الورثة الشرعيون للخراب والفقر والأزمات فإن لم توجد أزمات فإنهم يخلقونها وإن لم يكن هناك خراب فإنهم يصنعونه. فهو بيئتهم الطبيعية التى لايعيشون إلا فيها ..

ولهذا يتنادى اليساريون وتتجاوب مقالاتهم وتتعالى صرخاتهم إذا مس أحد هذا الثالوث المقدس .. مجانية التعليم والخمسين فى المائة عمالا وفلاحين والوظيفة المقدسة لكل خريج .. لأنهم يعلمون أنها القنابل الموقوتة التى تركها عبد الناصر بعد موته لتفرخ التناقضات والأزمات والمشاكل حتى تأتى على البنيان المتهالك من قواعده .

ولقد كان عبد الناصر يعلم حينما زرع هذه الوعود فى التربة

المصرية أن الوفاء بها سيكون مستحيلا ، كما أن الرجوع عنها سيكون مستحيلا .. وإنها ستظل الشرخ القاتل الذى يقصم ظهر كل من يأتى بعده .

ولكن مسز تاتشر باعت القطاع العام فى المزاد فى انجلترا ووقفت فى وجه عمال مناجم الفحم المطرودين وأعلنت أنها عائدة لتستأصل الاشتراكية من بلادها .. وعادت تحملها إرادة الأغلبية إلى كرسيها من جديد .

وما ظن اليسار أنه مستحيل لم يعد مستحيلا .. ولم يعد اليسار بالقوة التى كان عليها فى الخمسينات والستينات . لقد تحول التيار السياسى فى العالم كله ، وسقط الفكر الماركسى حتى فى بلاده ، وتراجع اليسار فى انجلترا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا ، وفقد أكثر مقاعده فى هذه الدول .. وفقد سمعته وفقد شرفه .. وفى مصر سقط رئيس حزب التجمع فى دائرته الانتخابية ولم ينجح أحد من الحزب الناصرى ولا من حزب التجمع .. ولم يبق عامل نشط فى ساحة اليسار إلا أمثال الألوية الحمراء وأخواتها من خلايا التخريب والإرهاب والخطف والسيارات الملغومة .

واليسار المصرى مجرد أعمدة فى الصحف وشعارات ولافتات

وصيحات ولكن في لحظة الامتحان لايجد له رصيدا شعبيا ولاسندا جماهيريا .

وهو مجرد بقية مما ترك عبد الناصر .

وقد جاء وقت المواجهة ولا مهرب .. مواجهة الفكر بالفكر ومواجهة الأكاذيب بالاحصاءات والأرقام الدقيقة ، ومواجهة التزييف بالوقائع وبالتاريخ الثابت .

وقد عجبت لزميل مثل أحمد بهاء الدين يقول : إن عبد الناصر ليس مسئولا عن الإهمال والتسيب والفساد والتدمير الذى وصل بنا إلى ما نحن فيه .. وهو أول من يعلم أن الفساد ماولد إلا فى حكم عبد الناصر الذى غابت فيه الحرية ، وقطعت الألسن وقصفت الأقلام، وسادت مبادئ النفاق والانتهازية ، وحكمت مراكز القوى، وانطلقت عصابة القتل تعيث فى الأرض فسادا .. وماولد الإرهاب الذى نعانى منه اليوم إلا فى زنازين التعذيب فى السجن الحربى بأمر وتوجيه وإشراف من عبد الناصر .

وعجبت له يتكلم عن قامة عبد الناصر الطويلة وحجمه التاريخي وهو القائل : إن عبد الناصر جعل مصر كبيرة والمصريين صغارا .

وفى الحق أنه ما جعلها كبيرة ، وإنما هو نفخ الأبواق وقرع الطبول

ودوى الأجهزة وهتاف المرتزقة الذى أفاق منه الكل فجأة على هزيمة منكرة وأرض محتلة. ومصر صغيرة أصغر مما ورثها عبد الناصر بمقدار سيناء وبمقدار حجم السودان كله . ثم من قبيل التعريض بالموجود يقول : إن عبد الناصر ترك الخزانة مدينة بأقل من ألف مليون واليوم هى مدينة بأربعين ألف مليون .. والظاهر أنه نسى أصول الجمع والطرح ونسى جدول الضرب أو تناسى أين أنفقت الأربعين ألف مليون .. وكيف أنفقت لإنشاء بنية أساسية تركها عبد الناصر منهارة مخربة ، أنفقت ليجد تليفونا يتكلم فيه ، ومواصلة يركبها ، وماء يشربه ومدنا سكنية يجد فيه الشباب غرفة يأوى إليها ، وكهرباء يقرأ عليها ، ومصادرطاقة وأمن غذائي يغطى احتياجات عشرين مليونا زادوا فى التعداد منذ رحيل رجله ، وكل هذا بأسعار الثمانينات وبالدولار الحاضر ثم حرب منتصرة محت عار وخزى ٦٧ بكل ما تكلفه الحرب المنتصرة .

ثم يمن علينا أحمد بهاء الدين بالسد العالى الذى أقامه صاحبه وأولى به أن يتلفت حوله ليجد أن نفق المترو وحده بأعماله الخرسانية مضافا إليه عشرات الكبارى والأنفاق والمصانع والسنترالات ومحطات توليد الكهرباء والموانى الجديدة والمدن السكنية والوادى

الجديد وتوسيع القنال وغزو الصحارى والتنقيب عن البترول .. إلخ إلخ .. هى أضعاف السد العالى من ناحية الحجم الإنشائي ومن ناحية الأثر .. ومع ذلك فقد تمت جميعها دون أن نرى حسنى مبارك يقتل أحدا أو يسجن بريئا أو يعذب مخالفا له فى الرأى .

ولنذكره بالإنجازات الحافلة التى أنجزها صاحبه وكيف انتهت كلها إلى الإحباط وفى حياته ..

الانجليز الذين أخرجهم من القنال دخل مكانهم اليهود . والقناة التى أممها ردمها .

والوحدة التى أعلنها مع سوريا رفضتها سوريا .

والاشتراكية التى تصورها راية قومية تجمع العرب تحولت إلى معركة تفرقهم .

ومجانية التعليم انتهت إلى حال لاهو مجانية ولا هو تعليم .

والإصلاح الزراعى هبط بالزراعة حتى جاء اليوم الذى أصبح فيه القمح يأتينا تبرعا من أخوة لنا فى السعودية خضروا الصحارى وزرعوها بدون اشتراكية وبدون شعارات .

وأخيرا انتهى الرجل وانتهت سياسته إلى الهزيمة والخراب الاقتصادى وجميع أفكاره أخذت حظها من الامتحان وسقطت ..

وكان على السادات أن يبدأ من الصفر وكان على حسنى مبارك أن يبدأ من مشاكل لاتنتهى ..

فماذا يحاول الزميل إحياءه/ وما هى التقدمية والعلمانية التى يكلمنا عنها كل يوم ؟ .. إن مداول الكلمة الحرفى والصريح هو نظام لايؤمن إلا بهذا العالم ولايعمل إلا من أجله ويرى فى حكاية الآخرة والله والحساب والعقاب أنها غيبيات وسائل غير مطروحة لاتخص سوى أصحابها ولاتتخطى باب المسجد .. أما فى الشارع وفى المجتمع فلاحكم إلا للقانون الوضعى الذى ارتضاه البرلمان ، فإذا وافق البرلمان بأغلبية على إباحة الزنا والشذوذ والخمر والقمار والربا فإنها تصبح مشروعة وتكتسب قوة القانون ، وإن خالفت الأديان وصادمت الشرائع .. هذه هى علمانية أحمد بهاء الدين .

والأمثلة الموجودة والحاضرة لهذه العلمانية فى البلاد الإسلامية والعربية هى : لبنان واليمن الجنوبى وبنجلاديش ونظام أتاتورك ، وجميعها أمثلة متفاوتة .. للأزمات الاقتصادية والديون والتخلف والتبعية وفقدان الهوية .

بل إن الكعبة التى يتجه إليها العلمانيون ويتلقون عنها وحيهم وإلهامهم نرى فيها العمال الكادحين يقفون فى طوابير ليشتروا

الكرنب بالبطاقة ، بينما أعضاء الحزب الشيوعى يأكلون الكافيار ويركبون عربياتِ الزيم الفا خرة .. ونقرأ عن برجنيف أنه كان يمتلك جراجا به أكثر من عشرين عربة فاخرة من أغلى وأفخر أنواع الرولزرويس والمرسيدس والليموزين .

ذلك ما يقوله دفتر أحوال هؤلاء العلمانيين برواياتهم وتوقيعهم، وبدون تشنيع ومن أجل هذا سقط اليسار فى العالم كله ، وتراجع جورباتشوف عن أفكار لينين وستالين وبرجنيف وضرب بها عرض الحائط .. كما تراجعت الصين كما انتكست الأحزاب الشيوعية الأوروبية على رؤوسها .. ولم يبق من دراويش الماركسية إلا اليسار المصرى يرفع رايات عتيقة بالية انتهت موضتها .. ويحلم بأمجاد ولت .

ويقول لنا الزميل أحمد بهاء الدين .. موتوا بغيظكم .. وما مات بغيظه إلا صاحبه بل لقد مات بحسرته يغص بهزيمة منكرة وإحباط لم يشهده زعيم قبله .

والزملاء الرفاق الذين يلبسون قميص عبد الناصر ينسون أن القميص أدركه البلي وأنه دخل في تركة ماض انتهى وأصبح مخلفات .. وإن العصر بمشكلاته ومتغيراته تجاوز عبد الناصر وفكر عبد الناصر ،

وإن المشاكل التى استجدت تحتاج إلى فكر جديد .. وإن نقود أهل الكهف التى يدورون بها فى الأسواق لن تشترى لهم شيئا .

افتحوا النوافذ يارفاق .. واستنشقوا الهواء .. نحن على أبواب التسعينات .

● د. مصطفى محمود ما هو مصدر الدخل الذى كنت تعتمد عليه أثناء منعك من الكتابة ؟!

●● حمدت الله أيامها على أنه كان لى عدة كتب حققت توزيعا كبيرا، وبالطبع فإننى كنت أعتمد على إيرادها كدخل ثابت ، ثم شغلت بالمسرح فكتبت فى هذا العام ثلاث مسرحيات : الزلزال والإنسان والظل والإسكندر الأكبر.

● معظم هذه المسرحيات تتناول الدكتاتورية بصورة أو بأخرى .. فهل حاولت أن تمسرح الديكتاتورية ؟!

●● هذا ما حدث بالفعل ، فهو مسرح القوة لقد حاولت مسرحة الأزمة وقتها ، وبرهانا على صدق كلامك فإنك تحس بالحرارة ، بالذات فى هذه المسرحيات الثلاث من مسرحياتى .. لأنها خرجت فى صدق نفسى .

● ماذا كان إحساسك فى فترة إيقافك عن الكتابة ؟!

●● كان إحساسى الصادق أيامها أن كل أفعال عبد الناصر كانت خطأ ، وأن ثماره التى سيجنيها فى النهاية سيكون عواقبها وخيمة .
بعد منعى من الكتابة بحوالى عام تدخل وتوسط الشاعر الكبير كامل الشناوى بل وفكر الطبيب الكبير أنور المفتى الذى كان يعالج عبد الناصر شخصيا فى التحدث إليه بشأنى وقال لى : لقد فكرت جديا يا مصطفى حينما علمت بمنعك من الكتابة أن أتحدث إلى عبد الناصر الذى أُشرِفُ على علاجه يوميا وفكرت أن أتحدث إليه فعلا لولا أن عبد الناصر للأسف الشديد لديه عيب فظيع جدا .. إذا طلب منه أحد المقربين إليه شيئا .
فقد طلب منه حلاقه الخصوصى طلبا فرفده فى اليوم نفسه وأتى بغيره فى اليوم التالى ، لأنه كان يتصور بالحديث إليه أنه مقصر وأنه أتى فعلا خطأ بإبعاد فلان وإيقافه عن العمل فلما يأتى هذا من طبيبه الخاص فسوف يترتب على ذلك إبعادى عن عملى !
سوف يبعدنى عن وظيفتى كطبيب خاص له مثلما أبعد حلاقه الخاص .
عبد الناصر يمكن أن يودينى فى داهية لو تحدثت إليه بشأنك ؟!
فقلت للدكتور أنور المفتى :

إلى هذه الدرجة ؟!

فرد على الدكتور أنور المفتى بمفاجأة مذهلة قال لى بالحرف الواحد:

عبد الناصر مريض بجنون العظمة !!

جنون العظمة وعنده عصبية غير عادية !!

وخطورة هذا التصريح أنه من طبيب عبد الناصر الخاص !

وبعد ذلك بعدة سنوات مات الدكتور أنور المفتى فجأة وقيل كلام كثير .. زوجته قالت ليلة موته أنه نظر فى المرآة وقال : لن أعيش أكثر من ٨ ساعات !!

لأنه وجد بقبق عينيه يتحرك .. وهذا دليل تسمم ! .. زوجته قالت هذا فى التحقيق .. وهناك كلام كثير بخصوص أنور المفتى وهل مات موتا طبيعيا أم قتل ؟.

● وأيهما ترجح أنت شخصيا خاصة وأنك كنت من أقرب المقربين للدكتور أنور المفتى ؟.

●● والله بعد أن قال الدكتور أنور المفتى : أن عبد الناصر عنده جنون عظمة .. أعتقد أن هذه العبارة لو وصلت لعبد الناصر فإن أنور المفتى فى هذه الحالة لم يمت ولكنه قتل !!

وأنت تعلم بالطبع اعترافات صلاح نصر فى التحقيقات بأنه كان لديه سموم قاتلة لايستعملها إلا بأمر من الرئاسة فإذا تسرب مثل هذا القول لعبد الناصر .

ومن قاتله ؟! .. طبيبه الخاص فإننى أرجح ألف فى المائة مقتل أنور المفتى !!

● ولماذا لايكون قد تسرب هذا القول عن طريقك أنت ؟!

●● لا .. ليس عن طريقي ولكن من الجائز أن يكون قد تسرب عن آخر .. ولو وصل إلى عبد الناصر مثل هذا الكلام لأصبح هذا دليلا على مقتل أنور المفتى خاصة فى ظل أقوال زوجته فى التحقيقات والتى أكدت من خلالها مقتله بالسم !

المهم أن كامل الشناوى قد توسط لدى هيكل .. فهو الوسيط الوحيد .

● **لماذا هيكل هو الوسيط الوحيد لدى عبد الناصر ؟!**

●● هيكل هو الوحيد الذى كان له مدخل على عبد الناصر .. وأنا أعتقد أن الاشتراكية نفسها خرجت من هيكل .. والميثاق الوطنى أيضا كلام هيكل .. وعبد الناصر لم يكن يفهم كل هذا الكلام ، هذه هى أفكار هيكل .. ولهذا كان اعتقاد هيكل بأنه

الوريث الشرعى للحكم بعد موت عبد الناصر .. لأنه هو الذى صعد هذه الأفكار .. وهو صانع الاشتراكية .. فأنا أؤكد أن صانع خرافة الاشتراكية ليس عبد الناصر ولكنه هيكل .. فعبد الناصر لم يكن لديه وقت يقرأ فيه أو يعرف شيئا عن كل هذه الأفكار ولم يكن يعرف ماركسية ولاماركسى ولا كل هذه الأفكار .

● **هل كان هيكل من وجهة نظرك هو الحاكم الفعلى لمصر من وراء ستار ؟!**

●● كان هو الحاكم الفعلى ، وكان وراء كل هذه الاتجاهات التى حدثت ابتداء من الاتجاه الاشتراكى حتى كل الأحداث التى عشناها ؟.

هل كلمة هيكل لك أحدثت نوعا من الرقابة على سن قلمك ؟.

لا لم تكن هناك رقابة من داخل ولكننى أحسست من هو الذى أتعامل معه ؟. نوعية السلطة التى أتعامل معها ؟ .. فأنت فى لحظة تكون داخل السجن وحتى ما يمكن أن تكتبه لايخرج إلى حيز الوجود فما هى قيمة التضحية إذن؟! .. قديما كان الكاتب يعبر عن رأيه وينشره ثم بعد ذلك يتم إعدامه ، ولكن بعد أن تكون كلمته قد وصلت إلى الناس بالفعل .. إنما فى حالتنا هذه فإن

الكلمة لن تصل ، وغاية ما هناك أنك سوف تسجن ولايعرف أحد أين أنت ؟ ولايعرف أحد من قتلك ؟! إذن ليست هناك أية قيمة لأية تضحية يمكن أن تضحى بها ؟.

● **ألم تحدث رقابة داخلك من الخوف بعد عودتك إلى الكتابة .. ماذا كنت تكتب بعد هذه المرحلة ؟؟**

●● بدأت أكتب موضوعات غريبة عن أينشتاين وغيره ، وكأننى لست فى مصر ولكن فى المريخ ! لكن كنت فى الوقت نفسه أحس كأنما هناك شىء داخلى يريد أن يخرج .. كنت أريد أن أقول الاشتراكية ولكننى كنت مخنوقا .. ولكن كيف أقول رأيى إذن .. اهتديت إلى طريقة هى أن أكتب وأحفظ ماأكتبه فى «سحارة» ولهذا فقد كتبت كتاب «الإسلام والماركسية» كاملا فى ذلك الوقت ووضعته فى السحارة حتى مات عبد الناصر وجاء عصر السادات ، وبعد ذلك أخرجت الكتاب لينشر فى صباح الخير .. وكان وقتها عبدالرحمن الشرقاوى رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة واعترض صلاح حافظ وزملاؤه بالطبع على نشر هذا الكتاب فذهبت فورا إلى صديقى عبد القادر حاتم وكان وزيرا للإعلام وصارحته بالأمر فقال لى : سوف أتصل بالرئيس السادات فقال له

السادات : كتاب مصطفى محمود ينشر كاملا وبصورة لائقة فى صباح الخير !

فأبلغ حاتم ما قاله السادات للشرقاوى وقال له : هذه هى أوامر الرئيس !

ولكن يبدو أن الشرقاوى ظن أن هذا الكلام غير حقيقى فلم يهتم بالكتاب .

فقلت ثانية لعبد القادر حاتم فحدد موعدا للشرقاوى فى الأهرام لمقابلته .. وما أن رآنى الشرقاوى فى مكتب حاتم بالأهرام حتى أخذنى بالأحضان وقال لى : كتابك تحفة رائعة و أنا سوف أنشره ابتداء من هذا الأسبوع ؟.

● د. مصطفى محمود

●● هل نستطيع على حد تعبير الشاعر محمد إقبال أن نطبق الإسلام كنظام اجتماعى وأن نرفضه كنظام سياسى ؟.

هناك فرق بين أن تستمد وتستلهم الأصول ، وبين أن تطبق تطبيقا مشرفا لعصر سلفى لدرجة أن يخرج من يقول : إن الناس كانت تأكل بأصابعها ويجب أن نأكل بأصابعنا .. وإن الذقون كانت الشكل الفلانى .. طويلة كانت أو قصيرة ويجب أن نقلدها ..

ويجب أن نقصر الثوب ونركب البغلة !

هؤلاء للأسف الشديد فهموا السنة فهما خاطئا .. فالسنة ليست الأعراف السائدة لعصر من العصور .. ماذا تأكل ؟ وماذا تشرب ؟ وهل نأكل بملاعق أو سكاكين أم نأكل بأصابعنا ؟!

ليست هذه هي السنة .. ولكن السنة هي أخلاق النبى عليه الصلاة والسلام .

فما فائدة أن يقصر الإنسان ذقنه أو يطولها وهو في الأصل إرهابي ؟ وهل هناك ذقن أكبر من ذقن الخمينى ؟ بل إن ذقن كارل ماركس أطول من ذقن الخمينى .. ما الفائدة أن تطول ثوبك أو تقصره ؟ المهم هو الأخلاق أولا وأخيرا.

الآن تجد البعض يقف في خطبة الجمعة ساعتين بينما كان الرسول ﷺ يلقي خطبته لاتتعدي دقائق معدودات .. لماذا لانأخذ السنة في هذه ؟!

النبي ﷺ كان يخفف علي الناس .. كان لايسبب رعبا أو يثير مشاعر الناس بل كان رحيما بهم . فالنبي حين دخل مكة منتصرا سأل الذين كانوا يضربون المسلمين .. ما تظنون أنى فاعل بكم ؟!

قالوا :

أخ كريم وابن أخ كريم .

قال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ولكن حين دخل الخومينى ماذا فعل بخصومه ؟ علقهم علي الأبواب بأحبال المشانق !!

هذا إسلام وهذا إسلام .. ولكن أيهما الإسلام الحقيقى ؟

ولابد أن نكون متفهمين لجوهر الموضوع ؛ فالإسلام أولا: إحياء ضمائر وإصلاح أفراد من غيرهم لا يتقدم المجتمع .

●هل تري تطبيق الشريعة الإسلامية كليا مثل تجارب إيران والسودان أو تري تطبيقها تدريجيا ؟!

●● لا شك أن الشريعة الإسلامية هى المطمع الذى لا يختلف عليه اثنان ، ولكن أن يأتى طالب ساقط ثانوية عامة ويمسك شمروخا فى يده محاولا عمل انقلاب إسلامى فى ٢٤ ساعة من أجل تطبيق الفضيلة في ٢٤ ساعة فهل يمكن أن يتحقق ذلك فى ٢٤ ساعة ؟!.. هل يمكن أن تأتى الفضيلة بمرسوم وزاري؟! .. هل يمكن أن نطبق الإيمان بقرار من مجلس الشعب ؟!.

هؤلاء فهموا المسائل خطأ .. فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. يبقي الأول تغيير النفس .. هذه هي المرحلة الأولي : إذن .. أن تطبق الشريعة أولا على نفسك ثم بعد ذلك على المجتمع

. أريد أن أوضح مسألة في غاية الخطورة وهي أن عملية التغيير الاجتماعى لايستطيع أن يقوم بها إلا الله سبحانه وتعالي .

فالله عز وجل يخاطب النبي ﷺ **لو أنفقت ما في الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم .**

إذن فالله يقول : أنت يانبي ومعك الأموال لن تستطيع ، فهل يمكن لساقط ثانوية يمسك فى يده شمروخا ويعمل وحدة عربية كيف ؟! إذا كان النبي ومعه أموال الدنيا كلها لم يستطع ، إذن فالمرحلة الأولى ابدأ بنفسك .. وهذا منتهى التدريج ، طبق الشريعة علي نفسك أولًا .. ربنا يقول لعيسي فى حديثه القدسي :

يا عيسي عظ نفسك فإذا اتعظت فعظ الآخرين وإلا فاستح مني .

إذا كان الإسلام تقدميا بطبعه ودينا اجتهاديا معاصرا فلماذا إذن العودة إلي السلفية الجامدة ؟!.

هذا خطأ كبير ، وأمراض نفسية أولا وأخيراً فكل شخص يتصور أنه مفتي الإسلام ، وإذا اختلفت معه في رأي يكفرك .. وهذه أصلا أخلاق غير إسلامية .. الإسلام دين اجتهاد ، ودين عقل ، ودين معاصر جدا ، وليس دينا شكليا أو دين طقوس لدرجة أنه لايوجد شيء اسمه زي إسلامي .

● **وما رأيك فيما حدث مؤخرا للطالبات المسلمات فى فرنسا من**

محاولة منعهن من ارتداء الحجاب ؟! هل هو محاربة الإسلام أوربا ؟!

●● الذي حدث في فرنسا هو محاولة منع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب هو مواجهة الإسلام ومنع انتشاره في أوروبا .. إنهم لايطيقون الإسلام . وهذا هو المعني وراء ذلك .. فالراهبات تلبسن الطرح علي رؤوسهن ، وهناك أيضا الساري الهندي . واليهود يضعون على رؤوسهم الطواقي .

● **ما رأيك فى هذا الصنبور المنهمر من هجرة اليهود السوفييت ؟.. كيف يرى عقل د. مصطفى محمود هذا التدفق اليهودى إلي إسرائيل ؟!**

●● هذا سوف يسبب مشكلة خطيرة .. وسوف يخلق وضعا لايحتمل الكلام ، فالعرب واليهود سوف يزيح أحدهم الآخر .. التدفق اليهودي سوف يخلق ظروف حرب قادمة .. فمن الممكن أن تخلق حتمية صدام .

● **وهل تري مع البعض أن حادث الأتوبيس الإسرائيلى الذي حدث منذ أكثر من عام محاولة للتعتيم علي هجرة اليهود السوفييت أو خطف الأضواء منها ؟!**

●● في الحقيقة أنا لا أستبعد أن يقوم بذلك الموساد الإسرائيلى ..

شيء جائز حقيقة فهناك كما تعلم أجنحة فلسطينية ضد عملية السلام ويريدون أن ينتهي هذا السلام بأى شكل وهذا معروف ومعلن بصراحة .

وأنا رأيي أن المستقبل خطير .. خطير .. وإننا كأمة عربية لابد أن نتشاور ونتفق ونستعد .. لاأقول نحارب ولكن أقول إن الفن الآن هو أن تمنع الحرب .. والطريق الوحيد لمنع الحرب أن نكون أقوياء ومرعبين مثلما هم أقوياء ومرعبون .. السبب الحقيقي وراء عدم حدوث حرب بين روسيا وأمريكا علي مدي ٥٠ عاما أن كل واحد يحمل معه «ذرة» .. أسلحة نووية .. فهذا مرعب .. وهذا مرعب أيضا وسوف يحطمون أنفسهم ولن يكون هناك منتصر ، ما الذي يغري بالحرب ؟ وجود قوي وضعيف .. فإذا كان أحد الطرفين ضعيفا ومنقسما سوف يغري هذا الطرف الآخر به ، فأحسن طريقة تمنع بها الحرب هي أن نكون أقوياء ، ونكون كلمة واحدة علي الأقل في المواقف الرئيسية .. ففي الإمكان أن نختلف فى الجزئيات ، لكن النقاط الرئيسية لابد أن نتفق عليها .. فهذه مسألة رئيسية لمنع أي حرب ،فأكثر شيء يمكن أن يغري بك عدوك هو ضعفك.

● **هل تؤيد قيام حزب للإخوان المسلمين بصيغة عصرية ؟!**

●● والله أنا أخاف على الإسلام من مزالق السياسة .. احتراف السياسة ... فالسياسة على رأى النكتة الانجليزية الشهيرة حينما وجد شخص تابوتا مكتوبا عليه هنا يرقد السياسى العبقري والرجل الصادق .. فقال الرجل : «أول مرة أجد فيها اثنين مدفونين فى تابوت واحد» .

فالسياسة تحمل فى ثناياها الكثير من الكذب والميكانيكية والانتهازية وأنا أخاف على الإسلام من احتراف السياسة فالسياسة يمكن أن تستلهم الإسلام ولكن أخشي أن يتحول الإسلام إلى احتراف سياسي .

● **وهل من أجل هذا لم تنضم إلى الإخوان المسلمين ؟!**

●● أنا لم أنضم ولن أنضم لأي حزب في حياتي والله سبحانه وتعالى يقول : **«وكلهم آتيه يوم القيامة فردا»** فأنا أريد أن أقابل الله سبحانه وتعالى يوم القيام فردا .. ولا أقول له عز وجل أصل الحزب عمل والمجتمع فعل .. فالله سوف يقابلنا يوم القيامة فردا .. فردا .. فالمسئولية فردية صرفة .

● د. مصطفى محمود .. بعد مرور ٣٥ عاما على محاولة اغتيال عبد الناصر في ميدان المنشية بالاسكندرية .. هل كانت محاولة اغتيال حقيقية من الإخوان أم أنها من وحي الخيال ؟

●● إنها ومن وحي الخيال مائة فى المائة .. إنهم كانوا يريدون أن يتخلصوا من الإخوان كقوي منافسة وإعدام مجموعة الإخوان المسلمين .. وهذا –في الحقيقة– تاريخ سيئ للغاية .

أنا أصدق ما يقال من أن حادثة المنشية بالاسكندرية لم تكن محاولة لاغتيال عبد الناصر ، وإنما كانت في حقيقة الأمر تمثيلية ! .. لكن أنا لاأستطيع أن أحكم علي الإخوان لأنني لم أكن واحدا منهم ولم أدخل في نسيجهم أبدا !

● هل لو استمرت جماعة الإخوان المسلمين وتعاونت مع الثورة لتغيرت صورة مصر الآن ؟!

●● والله لا أدري فلا تستطيع أن تقول إن الإخوان المسلمين يمثلون نسيجا واحدا فهناك شخصيات من الإخوان مستنيرة جدا مثل:" د. كمال أبو المجد ود. عبد العزيز كامل والشيخ محمد الغزالي" وهي شخصيات نضجت علي نار الزمن والتجربة والمعاناة .. بالتجارب الكبيرة التي مرت بمصر .. دخلوا السجون وأعادوا النظر

في معارك هائلة وأصبح لهم رأي مستقل عن تجربة واضحة ، هذا في نفس الوقت الذي توجد فيه شخصيات غير ناضجة ومندفعة ومتعصبة .

والحقيقة إنني أفضل أن يكون دور الدين في هذه المرحلة الحزبية التى نعيشها هو إحياء الضمائر ، فأخطر شيء يهدد المجتمع هو إدخال الدين في السياسة ، فدور الدين يجب أن يقتصر علي توعية وإحياء ضمائر الناس .

● بعض الكتب صدرت مؤخراً توكد علي أن عبد الناصر مات مسموما ؟!

●● أنا سألت في هذا الموضوع واكتشفت أن عبد الناصر مات بمرض «السكر البرونزي» وهو نوع معين من أنواع السكر ، والحقيقة إنه ليس هناك أسهل من أن يموت مريض السكر .. لو أهمل لحظة واحدة ! الآن كلنا نعلم أن علاج السكر هو الأنسولين الذي من شأنه أن يخفض مستوي السكر فى الدم . ولهذا لابد أن يكون في جيب مريض السكر دائما قطعة حلوي صغيرة .. ملبسة .. بنبونية .. فمن الممكن أن تنجيه من الموت ! .. لأن الهيبوكيميا قاتلة .. فمن الممكن أن يحقن مريض السكر بحقنة

أنسولين وينام من غير ما يتعشي فتكون نهايته لأنه يحدث له هيبوكيميا أثناء النوم .. ومن الجائز أن زوجته لاتعلم فيموت لمجرد أنه لم يتناول العشاء أو لم يأخذ قطعة حلوي ويتفصد العرق من جبينه وينتاب جسمه شيء من البرودة من غير أن يأخذ قطعة من الحلوي .. فالذي يقال بالنسبة لعبد الناصر .. مات بأزمة هيبوكيميا وتم تشخيص حالته خطأ وكان من الممكن بحقنة جلوكوز في الوريد أن تنتهي هذه الأزمة ولكن لاتعلم هل ربنا أراد أن الطبيب الذي معه لايعرف؟! .. وضحك مصطفي محمود وهو يقول : أو عرف الطبيب ولم يفعل !! هذه مسألة ثانية !

● **وأيهما يرجح د. مصطفي محمود ؟!**

●● ما أعرفش !! لكن الغالب في ذهني أن عبد الناصر مات بهيبوكيميا من غير دس السم له كما يتردد ! ثم إن عبد الناصر مات منذ عام ٦٧ .. عبارة لا أنساها قالها لي أنور السادات : أيامها: «يا مصطفي .. عبد الناصر مات بعد الهزيمة وأصبح شخصا آخر .. أنا لم أصبح أعرفه» .!!

● **هل تعتقد أن ثورة يوليو انتهت أم أنها لاتزال باقية في منجزاتها ؟!**

●● لا .. ثورة يوليو انتهت .. انتهت بعد سقوط معالم اليسار عالميا وسقوط الاشتراكية في حد ذاتها .. لأن الثورة كانت هي مجرد الاشتراكية .. ثورة يوليو انتهت بمضمونها مؤخرا ولكن هي كانت منتهية قبل ذلك من أيام ١٩٦٧ وهذه هي نهايتها الحقيقية .. فالنظام الثوري انتهي بالكامل بهزيمة ١٩٦٧ !

فهناك فرق بين الشيء مات وإعلان الوفاة .. فإعلان الوفاة جاء متأخرا ! .. فحدث استدراك ؟

فلقد حدثت الوفاة علي أقساط ! .. الثورة انتهت علي مراحل! كانت أول مرحلة أو أول قسط : حين طرد السادات الخبراء الروس وألغي الشمولية وأنشأ القطاع الخاص وفتح ذراعيه لعصر الانفتاح .. كان هذا أول قسط . أما القسط الثانى : فهو بيع القطاع العام الذي بدأ الآن ومع بداية بيع القطاع العام وتصفيته أستطيع أن أقول أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ انتهت بمزجها تماما !

ولكن كل الذي أتمناه الآن أننا نستطيع أن نحقق التعددية الحزبية بمفهومها الصحيح .. لكن أنا لا أتوقع أن يحدث ذلك الآن .. أمامنا مائة عام علي الأقل لتحقيق ذلك فالمسألة ليست سهلة !

● لو بيدك تقرير مصير الأحزاب في مصر .. هل كنت تجيز الحزب

الناصري علي خريطة الأحزاب المشاركة في الحياة السياسية في مصر؟!

●● لا .. الحزب الناصري ليس له معني علي الإطلاق .. الحزب الناصري يأتي ليمنع الأحزاب الأخري فهو بذلك يلغي رخصة وجوده من الأول ! .. ثم هل هناك شيء اسمه ناصري !! ليس هناك شيء اسمه ناصري وتيتوي ولينينى وتروتسكي .. كل هؤلاء عبارة عن سلالة ماركسية الدم والنشأة .. عبد الناصر لم يأت بأى شيء جديد .. هو نقل بالمسطرة كلاما قاله غيره .. يعني تمصير ما يقال .. مثلما يقال عن قصة ممصرة .. عبد الناصر ترجم كلام ماركس إلي العربية .. وليس عبد الناصر وحده .. الجميع فعل ذلك: تيتو فعل ذلك .. وكاسترو فعل ذلك فى كوبا . ولكن هل هناك كاستروية وتيتوية ولينينية ؟! الجميع واحد !

● **وهل كنت تجيز خروج حزب الإخوان المسلمين إلي الحياة السياسية ؟!**

●● والله أنا ضد دخول الدين في السياسة نهائيا .. ورأيي هذا أقوله بعد أن أمعنت التفكير حقيقة .. فأنا أعتقد أن السياسة خليط من الكذب والالتواء والانتهازية ولابد من تنزهة الدين عنها .

● **وما رأيك فيما يقال إن الدين يمكن أن يهذب السياسة ؟!**

●● والله يهذب الإنسان نفسه الأول .. فالدين يهذب به الإنسان نفسه أولا .

● **وماذا يضر لو أن الدين هذب السياسيين بأن جعلهم أخلاقيين ؟!**

●● ما يجعلهم أخلاقيين من غير أحزاب ! أنت فاكر أن هناك حزبا ممكن أن يخرج صادقين !!

علي أساس إشاعة السلام في العالم ؟!

هذه ليست في حاجة إلي أحزاب يا عزيزي .. الأخلاق والاستنارة الأخلاقية والإشراق عملية تحدث داخلك لكنه ليس عن طريق حزب ولماذا حزب بالذات ؟. .. لأنه إذا حدث ودخل فى حزب أو تنظيم فإنه بذلك يدخل في «العدة» وهذه «العدة» فيها الكذب والانتهازية والنفاق .. هذه هي السياسة ! . ثم إن الإسلام فى تاريخه لم يكن «سياسة ودين» إلا في مرحلة واحدة فقط .. النبي ﷺ .. وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب فقط .. وهؤلاء استثناء .. هات لى سيدنا عمر بن الخطاب وأنا أعمل به أعظم حزب ولكن من أين آتي به ؟. .. هؤلاء نماذج نورانية شربت من ينبوع النبوة فى مرحلة رائعة .. هؤلاء جاءوا فى زمن من الصعب تكراره ..

نماذج .. آيات من الإنسانية ، مقاييس بشرية لاتتكرر ولكن الله سبحانه وتعالي قادر على أن يخلق نماذج أخري .. ولكن هات لي واحداً من هؤلاء النماذج الخيرة وأنا أسير وراءه وأكون به حزباً .. أنا لم أر أحدا من هؤلاء حتي الآن ؟! كل الموجودين للأسف الشديد لايصلحون بالمرة .. ولكن الله سبحانه وتعالي مثلما خلق أم كلثوم من وراء البهيمة من غير كونسرفتوار وانبهر بها أعظم الملحنين فى عصره : الشيخ أبو العلا محمد حين سمعها لأول مرة وقال : كيف يخرج هذا الكلام من واحدة لاتعرف الموسيقي؟. لما ربنا يريد فلامرد لمشيئته .. إنما مَنْ علي الساحة الآن لا يصلحون؟.

● **ماذا كانت علاقتك بالرئيس الراحل أنور السادات ؟!**

●● أنا كنت أحب السادات جدا .. أتذكر أنه قبل رئاسته للجمهورية اتصل بي تليفونيا ليهنئني عن كتابي «القرآن .. محاولة لفهم عصري» وخاصة مقالة «لا إله إلا الله» وقال لي يومها : أريد أن أراك .

وبالفعل زرته فى فيلته بالهرم وأحسست يومها أن السادات ابن بلد وإنسان ظريف للغاية وقال لي : أنا رأيت لك برنامجا عن سعاد حسني وحين سألتك المذيعة عن صوت سعاد حسني قلت : إن

صوتها منعش ! وراح السادات يضحك وهو يقول لي : أيه قصدك يا درش من منعش !!

ولقد قابلت السادات بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية بعد أن اتصل بي وقال لي :

أنت إنسان مفكر وخلفيتك الثقافية والعلمية رائعة ولهذا فأنا حريص دائما علي متابعة مقالاتك ومؤلفاتك .. وأنا محتاج لك فى إنشاء مجلس مستشارين مثل مجلس المستشارين الأمريكي وعرض السادات علي عدة مناصب .

● ما هي هذه المناصب التي عرضها عليك السادات .. هل عرض عليك أن تكون وزير صحة أم وزير ثقافة ؟!

●● لا .. لم يكن وزير صحة .. ولكن مناصب تتعلق بالثقافة والفن .. وقد عرض علي السادات يومها بالذات أن أكون رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال بالإضافة إلي كوني مستشارا لـه.

● ولماذا رفضت إذن مجلس إدارة دار الهلال ؟!

●● قلت له : شوف يا ريس .. أنا عجزت عن إدارة أصغر وحدة وهي زوجتي وأولادى فإذا كنت قد فشلت في إدارة أصغر وحدة فكيف تتصور أننى يمكن أن أنجح في إدارة مؤسسة كاملة قوامها

ألف أو الفى شخص وإدارة وحسابات وخلافه

فيومها انفجر السادات ضاحكا وقال لي :

«يا مصطفي .. هو فيه واحد بيعرف يدير مراته ؟»

لكنني مع ذلك أصريت على الرفض المطلق لأية مناصب .

وقلت له : سوف تخسرني ككاتب وتكسبني كمدير سيئ ! وفى نفس الوقت لن أجد وقتا لأكتب فيه وفي هذه الحالة سوف تخسر فيّ الكاتب والمدير ؟!

ولقد عرضت علي مناصب كثيرة في عهد السادات سواء منه شخصيا أو من محمد عبد القادر حاتم وزير الإعلام وقتها ولكن كان موقفى واقتناعى ثابتا فى كل الأحوال ، وهو أنني لا أصلح إلا كاتبا وقد اقتنع أخيرا بوجهة نظري

والحقيقة أنني أحببت أنور السادات لأنني وجدت فيه مصرية خالصة .. السادات كان يحب أن يعيش حياته ويحب غيره أيضا أن يعيش حياته .. كان يحب أن يعيش ويسعد ، وغيره أيضا يعيش ويسعد . لم يكن ناقما علي الأغنياء أو متشوقا لهدم الشخصيات الكبيرة .. السادات لم يكن يحمل في قلبه حقدا لأحد مطلقا !

● من قتل أنور السادات من وجهة نظرك ؟!

●● من الواضح ومن ملفات القضية أن الجماعات الإسلامية المتطرفة هى التى قتلت أنور السادات .. وهذه الجماعات في حقيقة الأمر نتجت عن سلسلة الإخوان المسلمين الذين تعرضوا للقهر والتعذيب في السجون فخرجت عنهم سلسلة همجية تريد أن تحطم وتكسر وتنتقم من ضمنهم: الإسلامبولى الذى اغتال السادات .. وهذا الرأى هو ما أرتاح إليه شخصيا . فقد قيلت أقاويل كثيرة منها : إن المخابرات الأمريكية لها أصابع فى عملية اغتيال السادات .

● وهل تعتقد أن المخابرات الأمريكية لها دور فى عملية اغتيال أنور السادات ؟!

●● والله لاأستطيع أن افتى فى هذا الموضوع مطلقا لأنه فى النهاية الذى قتل السادات هو الاسلامبولى فأين دور المخابرات الأمريكية هنا مع الاسلامبولى ؟.

قد لا يكون دور المخابرات الأمريكية متوقفا عند الاسلامبولى فقط وإنما يمتد إلى تهيئة المسرح السياسي نفسيا واجتماعيا لحدوث هذا الاغتيال ؟.

الحقيقة إن الخطوة التى أقدم عليها السادات كانت خطوة جريئة ورائعة فرغم أنه انتصر وعبر وحطم خط بارليف فإنه مد يده لإسرائيل

يطلب السلام .. وهذا فى رأيي منتهى بعد النظر .. كانت خطوة رائعة وهائلة .. وأنا أعتقد أن عبقرية السادات تكمن فى هذا !

لماذا ؟! لأن العرب قد وصلوا إلى حالة من التفكك والضعف نتيجة كراهية بعضهم البعض لدرجة أن الاعتماد على إحدى الدول العربية وقتها كانت مغامرة غير مأمونة العواقب ، ولم يكن أمام السادات إلا اختيار السلام وكان لابد من التقاط الأنفاس اقتصاديا بعد فترة طويلة من تدمير البنية المصرية التى لم يقتصر التدمير فيها على المرافق والبنية الأساسية (تليفونات وطرق وإسكان ومياه وكهرباء ومواصلات) فقط ولكن للأسف الشديد كان هناك تدمير للنفوس المصرية أيضا ، فقد ترك عبد الناصر تركة مهلهلة ونفوسا مهلهلة تأكل فى بعضها .. وخلق الصراع الطبقى وتحولت مصر إلى مسرح للحقد يأكل بعضه بعضا .. ولم يضع حلا لما يحدث من أزمات .

● هل أخرج السادات الجماعات الإسلامية من السجون ليغتالونه؟!

●● من الواضح أن الجماعات الدينية المتطرفة هى التى اغتالت السادات وهذا أحد أخطاء السادات ومن الغريب أن السادات هو الذى أخرج الإخوان المسلمين من السجون .. أخرجهم بالفعل من

السجون وأعادهم لوظائفهم ثانية !

الذى حدث أن السادات فى موجة الغضب الأخيرة التى انتابته لم يعد يفرق بين الأبيض والأسود وأصبح معتزا برأيه وأصبح لايطيق أي رأي يعارضه .. فخرج واحد من الجماعات المتطرفة ليغتاله ! .. ولا شك أنه واحد منهم !

● د. مصطفى محمود ما هو تقييمك لحكم السادات ؟!

●● أنا أعتقد أن السادات بطل حقيقى وزعيم شجاع بمعنى الكلمة ، وهذا ليس لأنه بطل حرب أكتوبر فحسب ، بل لأنه بطل السلام أيضا وليس هناك من يملك شجاعة الرأى أكثر من السادات.

السادات أعاد لنا سيناء وما كانت تعود لولا شجاعته .. منتهى الشجاعة من السادات أن يذهب إلى دار أعدائه ويقابلهم ويدعو إلى السلام .. العرب كانوا معترضين على تفكير واتجاه السادات ولكن الآن كل الجهود والمساعى تحاول أن تحقق ما كان يصبو إليه السادات وحققه ، أصبح أملهم الآن هو الجلوس مع إسرائيل ؟! السادات كان مفكرا وشجاعا وسياسيا خلاقا .. وقد حاول إصلاح مصر ولكن يصلح أيه ولا أيه؟!

● ولكن وجهت انتقادات كثيرة للسادات خاصة فيما يتعلق بعصر الانفتاح ومساوئه ؟.

●● نحن عشنا عصر الانفتاح .. والحل ليس هو الانغلاق ، ياعزيزى لابديل عن الانفتاح .. فإذا كان الانفتاح هو الذى أدى إلى كل هذا الفساد ، فإن السبب فى ذلك هو الكبت لمدة عشرين عاما تحت حكم جبار !

ليس الانفتاح هو السبب ، ولكن الذى فعله عبد الناصر من خلال الصراع الطبقى وحكم الحزب الواحد والسجون والمعتقلات وفجر الصراع الطبقى وفجر معه الأحقاد بين الناس ، وكانت النتيجة أن مصر كانت مثل مرجل يغلى بالأحقاد ، لو فتحت أى جزء منه سوف يندفع البخار منه .

وهل تتصور مثلا أن روسيا يمكنها أن تخرج من الحكم الواحد والاقتصاد الشمولى قبل مائة عام على الأقل ؟! فالمسألة ليست سهلة .. ليست مجرد تغيير نظام فالذى حدث داخل الإنسان نفسه لايستهان به .. حدثت شروخ كبيرة داخل الإنسان لن تلتئم بسهولة !

فالهزيمة أخلاقية داخل البشر أنفسهم !

أصبح هناك نوع من العدوانية بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ألا تري المسلم يقتل أخاه فى لبنان .. ثم إن جعجع نفسه يقتل «عون» .. المسيحي أيضا يقتل أخاه المسيحى فى لبنان .. وشيعة إيران وشيعة أمل نفس الإسلام .. ولكن لماذا يقتلون بعضهم البعض إذن ؟! .. السبب فى ذلك هو العدوانية .. انحلال النظام .. النظام انحل فتحول الأفراد إلى وحوش يأكلون بعضهم البعض .. وكان هذا يمكن أن يحدث فى مصر لولا أن السادات فعل هذه الطفرة الكبيرة .. واستطاع أن يطرد الروس من مصر !

إن فى رأيى أن السادات فعل بروسترويكا مصغرة فى مصر . السادات كان جوربا تشوف على واسع !!

● **هل ما فعله السادات هو بروسترويكا مصغرة ؟!!**

أريد أن أفهم هذه العبارة الغامضة عليّ ؟!

●● لاشك أن جوربا تشوف لم يعمل شيئا غير ما فعله السادات فى مصر ! والذى عشناه جميعا وهو الخروج من الشمولية الاقتصادية ومن الحزب الواحد إلى التعددية ومن الانغلاق إلى الانفتاح ! إن الانفتاح أحدث مشاكل داخل روسيا نفسها .. الانفتاح ودخول الكوكا كولا والديسكو إلى روسيا أحدث نوعا من التغيير ، وأحدث أيضا فسادا داخل روسيا ذاتها !

فالذى غير الناس يا عزيزى ليس هو الانفتاح ، ولكن هو الكبت والقهر ونظام الحزب الواحد والسجون والمعتقلات والأحقاد والصراع الطبقى .. كل ما فى الأمر أن السادات فتح المرجل فخرج الصديد.. لكن هذا الصديد لم يكن نتيجة حكمه ولكن هذا تراكم من عشرين عاما لحكم عبدالناصر!!

● **هل كانت أحداث سبتمبر ١٩٨١ هي آخر مسمار فى نعش السادات .. ما الذى أسقط السادات قبل اغتياله ؟!**

●● أنا أعتقد أن السادات حين فاجأ العالم بلعبة السلام وضع إسرئيل فى مختنق ضيق وكشفها أمام العالم وكان نتيجة لهذا إنهم فقدوا سيناء فلم ينس له اليهود ذلك أبدا ..فلقد كانت ضربة معلم وأثبت من خلالها السادات أنه سياسى محنك وكبير فكانت النتيجة أنهم تحالفوا مع بعض الأجهزة الإعلامية لإفساد السادات وأنا لا أنسى أيام الضجة الإعلامية التى صاحبت اسم السادات فى أجهزة الاعلام المختلفة فى العالم والصحف العالمية ، ومنها : جريدة التايمز والنجومية الهائلة التى كانت تصاحبه حين يسافر إلى أمريكا .. السادات كان مكتسحا للإعلام العالمى .. رأيت بعينى وسمعت بأذنى وأنا أرافق السادات فى إحدى رحلاته إلى أمريكا أحد نواب الكونجرس الأمريكى يقول علنا فى حفل العشاء :

«يوم أن خلق الله أنور السادات تفرغ له لأنه لم يكن من الممكن أن يخلق أحداً بجانبه !!!» .

أقل لك رأيت بعينى وسمعته بأذنى ، وأيامها قيل لنا لاتنشروا هذا الكلام فى الصحف لأن الدين فى بلدنا لايسمح بذلك! أرايت ماذا كانوا يفعلون فى السادات .. الكرسى قد يغيرك .. ولكن ما بال أن يقال لك ربنا لما خلقك لم يستطع أن يخلق بجانبك أحد .. ؟!


● **ماذا يجرى لك .. ماذا يجرى بداخلك ؟.**

●● لقد ملأوا السادات بالغرور والتعالى .. ليس فى أمريكا فقط بل فى صحف أوروبا كلها .. الرجل السياسى الأول .. وأشيك رجل فى العالم وغيرها من الألقاب العديدة التى لقب بها السادات .. . طبعا هذا غير مواكب المنافقين فى مصر وشلة «الهاتيفة» التى لم تمل من التصفيق أبدا سواء أكان على صواب أو على خطأ . ولهذا لم يكن غريبا على السادات فى أيامه الأخيرة أنه كان لايطيق الرأى الآخر مطلقا مع إيمانه المطلق بأنه زعيم لا مثيل له فى العالم وأنه لا يحق لأحد أن يعارضه فى رأى مهما كان .. وأصبحت اللحظة مناسبة لاغتياله وهو ماحدث بالفعل !،



من احتراف الغناء في الأفراح
إلي شركات توظيف الأموال !

- كنت مغنيا في الأفراح في درب البغالة !
- "الإسلام هو الحل" شعار فضفاض لايدل على شيء !
- شركات توظيف الأموال نوع من المتاجرة بالإسلام علنا!
- للخروج من المأزق الاقتصادى لابد من الخروج من المستنقع الاشتراكى!
- نحن نعيش عصر الجنون والتناقض !
- أريد أن ألتقى بوجهه تعالى كجندى من جنود لا إله إلا الله.



● **صدر لك مؤخرا كتاب بعنوان؟ «الإسـلام .. ماهو» فما هـــو الإسلام من وجهة نظرك؟!**

●● الإسلام باختصار شديد هو الأخلاق.. الأخلاقية التى سماها الله التقوى .. وهذا معناه أن تتمثل الله فى كل ما تفعل فى كل فعل وحركة وحتى مجرد إيماءة .. فتحس دائما بأن الله يراك فى كل ما تفعل ، ونتيجة لكل هذا فسوف يصبح لديك أخلاقية معنية .. وهذا هو الإسلام . وإنما السياسة فهى فى رأيى مجرد كلام فارغ ! .. السياسة عبارة عن مجموعة نصابين .. فالسياسة جزء كبير منها ميكافيلى وانتهازى ، وهى عبارة عن نصب وكذب ودجل وشعارات مزيفة !

ومن الطبيعى أن الإنسان المتدين وشديد القرب من الله لايحب أن يدخل فى مثل هذه المتاهات سواء أكانت متمثلة فى مجلس الشعب أو غيره من المجالس !.

* * *

● **عرف د. مصطفى محمود الدين في كتابه «الإسلام .. ما هو»؟**

حيث قال :

●● الدين ليس حرفة ولا يصلح لأن يكون حرفة ، ولا توجد في الإسلام وظيفة اسمها رجل دين .

ومجموعة الشعائر والمناسك التى يؤديها المسلم يمكن أن تؤدى فى روتينية مكررة فاترة خالية من الشعور ، فلاتكون من الدين فى شيء. وليس عندنا زى اسمه «زى إسلامى» .. والجلباب والسروال والشمروخ واللحية أعراف وعادات يشترك فيها المسلم والبوذى والمجوسى والدرزى ... ومطربو الديسكو والهيبى لحاهم أطول .. وأن يكون اسمك محمدا أو عليا أو عثمان ، لايكفى لتكون مسلما .

وديانتك على البطاقة هى الأخرى مجرد كلمة .

والسبحة والتمتمة والحمحمة، وسمت الدراويش وتهليلة المشايخ أحيانا يباشرها الممثلون بإجادة أكثر من أصحابها ، والرايات واللافتات والمجامر والمباخر والجماعات الدينية أحيانا يختفى وراءها التآمر والمكر السياسى والفتن والثورات التى لاتمت إلى الدين بسبب.

● ما الدين إذن ....؟!

●● الدين حالة قلبية .. شعور .. إحساس باطنى بالغيب .. وإدراك مبهم ، لكن مع إبهامه شديد الوضوح بأن هناك قوة خفية حكمية مهيمنة عليا تدبر كل شيء .

إحساس تام قاهر بأن هناك ذاتا عليا .. وأن المملكة لها ملك .. وأنه لا مهرب لظالم ولا إفلات لمجرم .. وأنك حر مسئول لم تولد عبثا ولا تحيا سدى وأن موتك ليس نهايتك .. وإنما سيعبر بك إلى حيث لاتعلم .. إلى غيب من حيث جئت من غيب .. الوجود مستمر .

وهذا الإحساس يورث الرهبة والتقوى والورع ، ويدفع إلى مراجعة النفس ويحفز صاحبه لأن يدع من حياته شيئا ذا قيمة ويصوغ من نفسه وجودا أرقى كل لحظة متحسبا اليوم الذى يلاقى فيه ذلك الملك العظيم .. مالك الملك .

هذه الأزمة الوجودية المتجددة والمعاناة الخلاقة المبدعة والشعور المتصل بالحضور أبدا منذ قبيل الميلاد إلى مابعد الموت .. والإحساس بالمسئولية والشعور بالحكمة والجمال والنظام والجدية فى

كل شيء .. هو حقيقة الدين.

إنما تأتى العبادات والطاعات بعد ذلك شواهد على هذه الحالة القلبية .. لكن الحالة القلبية هى الأصل .. وهى عين الدين وكنهه وجوهره .

وينزل القرآن الكريم للتعريف بهذا الملك العظيم .. ملك الملوك .. وبأسمائه الحسنى وصفاته وأفعاله وآياته ووحدانيته .

ويأتى محمد ﷺ ليعطى المثال والقدوة . وذلك لتوثيق الأمر وتمام الكلمة .

ولكن يظل الإحساس بالغيب هو روح العبادة وجوهر الأحكام والشرائع ؛ وبدونه لاتعنى الصلاة ولاتعنى الزكاة شيئا.

ولقد أعطى محمد ﷺ القدوة والمثال للمسلم الكامل كما أعطى المثال للحكم الإسلامى والمجتمع الإسلامى .. لكن محمدا ﷺ وصحبه كانوا مسلمين فى مجتمع قريش الكافر.. فبيئة الكفر ، ومناخ الكفر لم يمنع أيا منهم من أن يكون مسلما تام الإسلام .

وعلى المؤمن أن يدعو إلى الإيمان ، ولكن لايضره ألا يستمع أحدا ، ولا يضره أن يكفر من حوله ، فهو يستطيع أن يكون مؤمنا فى

أى نظام وفى أى بيئة .. لأن الإيمان حالة قلبية ، والدين شعور وليس مظاهرة ، والمبصر يستطيع أن يباشر الإبصار ولو كان كل الموجودين عميانا ، فالإبصار ملكة لا تتأثر بعمى الموجودين ، كما أن الإحساس بالغيب ملكة لاتتأثر بغفلة الغافلين ولو كثروا ، بل سوف تكون كثرتهم زيادة فى ميزانها يوم الحساب.

إن العبادة فى مسألة الدين والتدين هى الحالة القلبية .

ماذا يشغل القلب ؟.. وماذا يجول بالخاطر؟

وبم تتعلق الهمة؟

وما الحب الغالب على المشاعر؟

ولأى شيء الأفضلية القصوى؟

وماذا يختار القلب فى اللحظة الحاسمة ؟

وإلى أى كفة يميل الهوى ؟

تلك هى المؤشرات التى سوف تدل على الدين من عدمه .. وهى أكثر دلالة من الصلاة الشكلية ولهذا قال القرآن الكريم : **ولذكر الله أكبر** .. أى أن الذكر أكبر من الصلاة .. برغم أهمية الصلاة .

ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام لصحابته عن أبى بكر ... أنه لايفضلكم بصوم أو بصلاة ولكن بشىء وقر فى قلبه ، وبهذا الشىء الذى وقر فى قلب كل منا سوف نتفاضل يوم القيامة بأكثر مما نتفاضل بصلاة أوصيام .

إنما تكون الصلاة صلاة بسبب هذا الشىء الذى فى القلب.

إنما تكتسب الصلاة أهميتها القصوى فى قدرتها على تصفية القلب وجمع الهمة وتحشيد الفكر وتركيز المشاعر .

وكثرة الصلاة تفتح هذه العين الداخلية وتوسع هذا النهر الباطنى وهى الجمعية الوجودية مع الله التى تعبر عن الدين بأكثر مما يعبر أى فعل.

وهى رسم الإسلام الذى يرسمه الجسم على الأرض .. سجودا ، وركوعا ، وخشوعا ، وابتهالا ، وفناء .. يقول رب العالمين لنبيه:

(اسجد واقترب) .

وبسجود القلب يتجسد المعنى الباطنى العميق للدين ، وتنعقد الصلة بأوثق ما تكون بين العبد والرب .

وبالحس الدينى ، يشهد القلب الفعل الإلهى فى كل شىء .. فى

المطر والجفاف ، فى الهزيمة والنصر ، فى الصحة والمرض ، فى الفقر والغنى ، فى الفرج والضيق .. وعلى اتساع التاريخ يرى الله فى تقلب الأحداث وتداول المقادير .

وعلى اتساع الكون يرى الله فى النظام والتناسق والجمال ، كما يراه فى الكوارث التى تنفجر فيها النجوم وتتلاشى فى الفضاء البعيد

وفى خصوصية النفس يراه فيما يتعاقب على النفس من بسط وقبض ، وأمل وحلم ، وفيما يلقى فى القلب من خواطر وواردات .. حتى لتكاد تتحول حياة العابد إلى حوار هامس بينه وبين ربه طول الوقت ..

حوار بدون كلمات ..

لأن كل حدث يجرى حوله هو كلمة إلهية وعبارة ربانية ، وكل خبر مشيئة ، وكل جديد هو سابقة فى علم الله القديم .

وهذا الفهم للمشيئة لا يرى فيه المسلم تعطيلا لحريته ، بل يرى فيه امتدادا لهذه الحرية .. فقد أصبح يختار بربه ، ويريد بربه ، ويخطط بربه ، وينفذ بربه .. فالله هو الوكيل فى كل أعماله.

بل هو يمشى به ويتنفس به ، ويسمع به ، ويبصر به ويحيا به .
وتلك قوة هائلة ومدد لاينفد للعابد العارف ، كادت أن تكون يده
يد الله وبصره بصره ، وسمعه سمعه ، وإرادته إرادته .
إن نهر الوجود الباطنى داخله قد اتسع للإطلاق .. وفى ذلك يقول
الله فى حديثه القدسى :
ألم تسعنى سماواتى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن هذا
التصعيد الوجودى ، والعروج النفسى المستمر هوالمعنى الحقيقى
للدين .. وتلك هى الهجرة إلى الله كدحا .

(يا أيها الانسان إنك كادح إلي ربك كدحا فملاقيه)

ولا تجد غير الكدح كلمة تعبر عن هذه المعاناة الوجودية الخلاقة
والجهاد النفسى صعدا إلى الله .
هذا هو الدين .. وهو أكبر بكثير من أن يكون حرفة أو وظيفة أو
مؤسسة أو زيا رسميا .

* * *

● **د. مصطفى محمود .. ألم تفكر أن تعمل بالسياسة ؟!**

●● إطلاقا .. لا أحب أن أعمل بالسياسة لكن أقرأ وأكتب نعم
.. اشتغل بالسياسة لا .. لأننى أرى أن جزءاً كبيرًا منها عبارة عن
دجل !



• ما رأيك فى الإسلام السياسى ؟

●● من المؤكد أن السياسة دخلت فى كل شىء .. حـتى فى الطريقة التى تحب بها أو تتزوج بها لكن هناك فرق كبير بين أن تقول : إن السياسة دخلت فى كل شىء وبين أن تحترف السياسة. والحقيقة إن الإسلام بطبيعته يهتم بأخلاقيات الحاكم وأخلاقيات القوانين التى يطبقها الحاكم ، والشريعة التى يأمر الله بتطبيقها على

الأرض والتى يجب أن يضع الحاكم قوانينه على أساسها . فالإسلام لاينفصل عن هذا الموضوع ولكن هناك فرق كبير بين أن تقول: إن السياسة داخلة فى الإسلام .. وإن تدخل الإسلام فى السياسة مثلما فعل الخومينى فى إيران .

ولكن الإسلام يجب أن يكون دوره ناصحا ومرشدا ولايتحول إلى حاكم يجلس على الكرسى ويضع على رأسه عمة كبيرة ويقول : إننى أحكم بالتفويض الإلهى .. لا .... إننى أرفض ذلك مطلقا! ثم ما هو المانع أن يكون الحاكم مسلما عصريا ؟! وهل د.يوسف والى ليس مسلما..؟! هل حسب الله الكفراوى ليس مسلما .. لا .. كلهم مسلمون وكلهم لديهم حمية دينية .. فليس شرطاً أن يتخرج الحاكم من كلية الشريعة لكى يحكم .. فالدين قاسم مشترك بين كل الناس .. ومن الجائز أن يكون هناك شيخ محترف بعمة وليس له صلة بالإسلام !

فليس فى الإسلام مسألة الفقيه وراية الفقيه إلا فى الشيعة ، وهل تخرج سيدنا أبو بكر أو سيدنا عثمان من الأزهر الشريف؟! إنهما كانا تجار منى فاتورة ولكن كل ما فى الأمر أنهما تشربا أخلاق الإسلام وهذا هو المطلوب .

• لماذا فشلت من وجهة نظرك تطبيق الشريعة الإسلامية التى حاول تطبيقها كل من النميرى وضياء الحق والخومينى ؟!

•• حين تذكر كلمة «الشريعة» فانه لايتناهـــى إلى الأذهان ولا يتداعى إلى الفكر إلا قطع اليد والرجم والجلد والسحل وإطالة اللحية وتقصير الثوب مع أن أول شىء ذكر فى القرآن الكريم هو : **اقرأ** .. فأول الشريعة هو العلم .. ربنا أمرنا بالعلم "**رب زدني علما** .. والله سبحانه وتعالى أمرنا بالعلم والعمل ، فالآيات التى نزلت فى القرآن تأمرنا بالعمل والعلم أكثر من ١٤٨٠ مرة على حين جاءت مسألة الحجاب فى موضع واحد أو اثنين فقط .. فحين تكون هناك أوليات فلاشك أن العمل والعلم الذى جاء موضعهما فى القرآن الكريم أكثر من ١٤٨٠ ، مرة هى التى تتفوق على ماعداها ومنها مسألة الحجاب مثلا .. ثم إن اللائحة العقابية ليست أولاً بل آخر شىء يلجأ اليه الشرع بعد استنفاد كل وسائل النصح إلى آخره .. فالنبى ﷺ لم يقطع يدا فى حرب .. وسيدنا عمر بن الخطاب لم يقطع يدا فى مجاعة ، مع أن آية القطع جاءت فى القرآن الكريم بدون استثناءات وهذا أبلغ دليل على أن الشريعة الإسلامية مفتوحة

للاجتهاد والتدبر بصراحة النص . لأن النص كان قاطعا وصريحا ومع ذلك لم يقطع الرسول ﷺ يدا في حرب ولم يقطع عمر بن الخطاب يدا في مجاعة تقديرا للظروف .. وهذا هو الاجتهاد في مثل هذه المسائل لأنه أحيانا إذا عالجت شيئا بتطبيق النص فيمكن أن تكون النتيجة أسوأ لأنه مثلا في ظل الظروف التي نعيشها زمن الذمم الخربة هذه يمكن أن أحضر لك أربعة شهود زور عليك فيقطعوا يدك ظلما .. من السهل اليوم أن تستقطب أربعة شهود لشهادة الزور! .. وسوف تنتهي كل القضايا بالظلم قطعا .. وينصرف الحاكم إلي قطع أيدي خصومه السياسيين .. فإذا اختلف أحد مع الحاكم فلابأس .. أربعة شهود زور ويقطعوا يده ورجله !

فإذا كانت الظروف التي نعيشها هي شيوع البلوى فلابد إذن أن نقدر هذه الظروف ولدينا مثالا عل ذلك وهو شرب الخمر الذي كان شائعا ولكن ربنا سبحانه وتعالى لم يحرمه دفعة واحدة .. ولكن حرمه على مدى ١٣ عاما .. أي تدريجيا.

وأنا أرى أنه من الضروري أن يقوم بتقنين القوانين .. الفقيه، القانوني ، الخبير ذو الأفق المستنير ، وليس أصحاب الآفاق الضيقة

والعقول المظلمة. فالشريعة مفتوحة للاجتهاد والتدبر والظروف لها أحكام ، مع ضرورة الوضع فى الاعتبار أن المصالح المرسلة قاعدة فلابد أن نقدر الصالح ونوازن المسائل . ومن رأيى أن تطبق الشريعة الإسلامية على مراحل فهذا أسلم للإنسان والمجتمع .

فليس من المعقول أن نخلق مجتمعا فاضلا فى ٢٤ ساعة بقرار وزارى . إذن المسألة هى ضرورة تهيئة المناخ للشريعة فكيف نعاقب على الزنا بالرجم فى الوقت الذى تذيع فيه الإذاعة أغانى مكشوفة مثل أنام وأصحى على شفايفك !! ثم تفتح التليفزيون فتجدهم عرايا تحت الملاءة على السرير !! .. إنتهى كل شىء إذن ! .. كلام فارغ .. فالقبلات والأحضان فى الأفلام فى التليفزيون مثل : ازيك سلامات!

هذا فى الوقت الذى لايستطيع فيه الشباب أن يتزوج ولايستطيع أن يحصل على شقة ليتزوج فيها !

فى ظل هذه الظروف .. هل تطبق الرجم؟! .. ترجم .. ومن يرجم من؟!

ان القضية تحتاج إلى شىء من الحكمة والفهم والسياسة، فالذى

لاشك فيه أن الشريعة هى النموذج الحقيقى الذى يقود فى النهاية إلى سلامة المجتمع وتحقيق استقراره ولكن كيف ومتى وأين؟! هذه هى القضية الآن .. والله سبحانه وتعالى منحنا العقل لكى نفكر ونتدبر ونتعقل الأمور ونضعها فى نصابها الحقيقى بما يخدم ويحقق استقرار المجتمع وأمنه.

● البعض يربط شركات توظيف الأموال بالإسلام .. ما رأيك؟!

●● شركات توظيف الأموال هى نوع من المتاجرة بالإسلام علنا.. لقد استغلوا خوف الناس من الحرام والربا وخرج من يقول لك: المضاربة الإسلامية والمكسب الحلال وقدموا إغراءات ممثلة فى أرباح قيمتها ٢٥ ٪ أو أكثر فهرع الناس إليهم .. طبعا جريمة منظمة وعملية نصب مكشوفة .. لأن حياة أصحاب شركات توظيف الأموال هذه كانت بعيدة عن الإسلام كما رأينا!

● وكيف ترى خروج مصر من المأزق الاقتصادى الآن؟!

●● هى فى الحقيقة مشكلة فى غاية الصعوبة وللخروج منها أرى أولا : ضرورة الخروج من المستنقع الاشتراكى نهائيا ومن الاقتصاد والنظام الشمولى بوجه عام لأن هذه الأنظمة حولت مصر للأسف

الشديد إلى ديوان قلم الشطب .. مجرد موظفين يجلسون على المكاتب بلا عمل ويأخذون مرتباتهم فى نهاية كل شهر ! .. وكانت النتيجة هى الكارثة التى نعيشها الآن .. فلابد من الخروج من هذا المأزق أولا ولكن كيف تخرج وتبيع القطاع العام وتبيعه لمن وكيف ؟ هذه مشكلة فى حد ذاتها!

إذا استطعنا أن نتخلص من هذه الأنظمة الفاشلة فسوف يكون لدينا فرصة ذهبية لمزيد من المشروعات لزيادة الإنتاج .. نستطيع تشجيع المبادرة الشخصية وحينئذ لن يكون العدد فى الليمون فالـ ٥٠ مليونا لن يكونوا بلا عمل فسوف يعمل على الأقل منهم ١٥ مليونا هذا أولا : .. أما ثانيا : فهو أخلاقيات العمل ، وأما ثالثا : فهو نكبة التعليم وأكذوبة مجانيته .. فطالب الطب لايتخرج طبيبا وخريج الهندسة لايكون مهندسا .. لقد حدث تدهور فى كل شىء.

ولاشك أن أزمة التعليم فى مصر سببها الأول هو ذلك الوهم الكبير الذى يطلق عليه مجانية التعليم ، ونحن ليس لدينا أموال ولا مدارس ولا معامل ومختبرات فالمسألة كلها كذب تماما مثلما يقال

لنا : العلاج بالمجان ونحن ليس لدينا مستشفيات ولا أسِرَّة ولا حتى أطباء!

كلنا نرحب بالمجانية ونتمناها ولكن ألا تكون وهما ، بل تكون حقيقة واقعة وهو مايحدث في السعودية الآن فلديها إمكانات لتعليم الطلاب مجانا وليس هذا فقط بل تمنحهم مرتبات وتساعد في زواجهم ماديا .

فلكي نحل مشاكلنا في مصر للأبد أولا : أن نتخلص من النظام الشمولي الفاشل ، والوهم الكبير الذى يطلق عليه مجانية التعليم !

* * *

● **كتب د. مصطفى محمود في كتابه «لماذا رفضت الماركسية» الأسباب الحقيقية لرفضه المطلق للماركسية ومنهجها حيث يقول :**

حينما بدأت أكتب في الخمسينات كانت الماركسية هي موضة الشباب الثائر في ذلك الوقت .. وكنا نقرأ منشوراتها في نهم فتحرك مثالياتنا بما تعد به من فردوس أرضي وعدالة ورخاء وغذاء وكساء للعامل والفلاح ومحاربةللإقطاع والاستغلال وتحرير للجماهير الكادحة .

وكانت موسكو تبدو لنا فى ذلك الحين الكعبة الأم لهذا الدين الجديد الذى يشع بالخير والرفاهية لكل من يدور فى فلكه .

وكانت أول صحوة لنا من ذلك الحلم حينما سافرنا إلى الخارج ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتجهمة فى المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التى تجرى فى هذا الفلك.

وبحثنا عن الرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضى فلم نجد له أثرا.

وكانت الصدمة الثانية الأعظم حينما فتح خرشوف ملف ستالين وأعلن على رءوس الأشهاد المظالم التى ارتكبها ستالين والملايين من العمال والفلاحين والمثقفين الذين قتلهم فى السجون والمعتقلات وأعدمهم بالرشاشات وألقاهم للموت فى جليد سيبيريا وأسلمهم لآلات التعذيب بين يدى الجلاد الرهيب بريا ؛ ويومها قالوا لنا .. إنه التطبيق .

الذنب فى التطبيق السيء .. ولكن النظرية بريئة مبرأة من هذا كله.

واحتاج الأمر منى إلى سنوات من القراءة والدراسة والعكوف على المجلدات الأصلية للمذهب لكى أكتشف أن الفساد ليس فى

التطبيق، ولكن الفساد فى المذهب نفسه ، وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تحشيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخي يخرج العالم من ظلم ليلقى به فى ظلم أفدح وأشمل وأعم.

يقول ماركس : إن التاريخ عبارة عن تنازع مصالح مادية ويرى أن التاريخ يتحرك إلى الأمام بدافع من الصراع الطبقى بين السادة والعبيد .. وكلما تغيرت أساليب الإنتاج تغير معها شكل المجتمع وحضارته وفنونه.

جاء المجتمع الزراعى فجاء معه بفنونه وآدابه وتقاليده وأديانه وكانت وظيفة هذه الأديان هى الحفاظ على مصالح السادة الاقطاعيين . ثم جاء عصر الصناعة والبخار فجاء معه بفنون وأفكار وأخلاقيات جديدة تحفظ للسادة امتيازاتهم .. ثم تطور العلم وتطورت معه أساليب الإنتاج وجاء الأوان أخيرا ليقلب العمال نظام العالم ويأتون بأفكارهم وأخلاقياتهم ودينهم (الشيوعية) الذى يكتسحون به الأديان المختلفة الموجودة ويقودون العالم إلى مجتمع لاطبقى يمتاز بالوفرة فى كل شيء ويعمل فيه كل فرد على طاقته ويأخذ على قدر حاجته بلاظلم وبلا استغلال . وكانت وسيلة ماركس إلى ذلك

تأميم وسائل الإنتاج وانفراد طبقة العمال بالدكتاتورية والسلطة.

ولايرى ماركس أثرا لأى عوامل أو قوى غيبية أو إرادة إلهية وراء هذه العوامل المادية تؤثر فى التاريخ .. وما الله فى نظر ماركس إلا الصنم الذى أقامته البورجوازية لتخدع به الطبقة العاملة وتشغلها بالسجود والركوع بين يديه انتظارا لفردوس وهمى بعد الموت لتخلو لهم الدنيا يستمتعون بثمراتها كما يشاءون دون خوف أن ينازعهم العمال امتيازاتهم .. فما الدين فى الحقيقة إلا مخدر الفقراء وأفيون الشعوب والحشيش الذى يغيبون به العقول كلما أوشكت أن تصحو وتنفجر على ثورة.

ولهذا جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه ، وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار.

وقد وقع ماركس فى عدة أخطاء قاتلة كانت كفيلة فى النهاية بالقضاء على نظريته .

أولا : اعتمد ماركس فى استنباط نظريته عن التاريخ على بعض

مراحل تاريخية دون الأخرى .. فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل مايناقض فكره .. ومن هنا لايصح أن تكون للقوانين التى استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله ، ولاتصدق عليها صفة القوانين ، وإنما هى فى الحقيقة تلفيقات .

وأقوى البراهين على ذلك هى نشأة الإسلام فلم يكن الإسلام «قط» من إفراز النظام الطبقى فى قريش ، ولم يكن دينا رجعيا يحفظ للظالمين المستبدين أموالهم وامتيازاتهم ، ولم يكن مخدرا للفقراء دافعا لهم على قبول فقرهم ، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة فى اعتدال ، ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين. ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب مناظر فى نظام الإنتاج وعلاقات الإنتاج فى قريش ، وإنما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة ، فقد جاء الإسلام من البداية مقررا المساواة فى الفرص ، وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع ، وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ، ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه .. وجاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الانتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن نقول إن ماحدث كان

انبثاقا من واقع اقتصادى .. وتحدى بذلك منطق الماركسية التاريخى وحساباتها المادية التى تحتم انبثاقا كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى الإنتاج وعلاقاته .

ثانيا : وقع الفكر الماركسى فى تناقض أساسى بين كونه فكرا يدعو إلى التضحية والبذل من أجل الآخرين ، وبين كونه فكرا محروما من الحافز الدينى والمبدأ الروحى .. والدين كما هو معلوم يمد الإنسان بأعظم طاقة ليضحي ويبذل بلا حدود وعن طيب خاطر .

وهكذا أصبحت الماركسية تطالب بالنقاء الثورى والتضحية والولاء ، ثم تجعل هذه الأخلاقيات مستحيلة بالفكر والنظرية (بحكم مادية النظر إلى الأشياء) .

وهكذا تصور الماركسيون الماديون أن ثلاث وجبات دسمة يمكن أن تكون عزاء كافيا لإنسان يعلم أنه ولد ليموت .. إنسان كتب عليه أن يتألم وحده .. ويشيخ وحده .. ويموت وحده ..وتصوروا أن الولاء يمكن أن يشترى بالمرتب والمكافأة إن لم يشتر بالخوف من قطع العيش .. وكان هذا وهما كبيرا.

وإنها كلمة قديمة جدا .. «إنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» ..

وإننا إذا كنا نولد لنموت فإن الدين الذى يقدم لنا حياة مطلقة وبعثا وخلودا هو أمر لايمكن شطبه بجرة قلم ولايمكن محاربته بخزعبلات نظرية .

وقد وجد ستالين نفسه أمام هذا التناقض الذى لا حل له ، حينما هجم الجيش النازى على روسيا وبلغ أبواب ستالينجراد .. فقد رأى الفلاح الروسى يقف متخاذلا لايعرف لماذا يحارب؟ ولماذا يموت ؟ ولابعث بعد الموت ولاجنة ولاتكريم لشهيد.

لقد سلبت منه الشيوعية الجنة وسرقت منه الخلود فلم يعد يتحمس لشيء.

ولم يجد ستالين بدا من أن يعود فيبنى الكنائس ويفتح المساجد ليحيى القلوب التى ماتت .

وتغيرت التعليمات لكل الخلايا الشيوعية .. وجاءت الأوامر الجديدة لاتذكروا الدين بسوء ولاتتعرضوا لله .. ولاتناقشوا فى الغيبيات .. وإذا سئلتم فى ذلك فقولوا : هى مسائل غير مطروحه .. وليس هذا أوانها .

ولم تنفع هذه الاستراتيجية الجديدة فى علاج الشكوك التى تحركت

فى الصدور .

وعاد أنبياء الكرملين فاجتمعوا وانفضوا ..

ثم عادوا فأصدروا تعليمات جديدة .. وسمعنا عن بعثات حج روسية تخرج من موسكو إلى مكة .. وسمعنا عن مفكر إسلامى يفتى فى روسيا البلشفية.

ولبس بعض الماركسيين طرحة إسلامية.

ولم ينفع هذا الصلح الانتهازى مع الدين .

ولكنه كشف للماركسيين أنفسهم عن ثغرة فى نظريتهم لاحل لها .

ثالثا: ذلك التعامل الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس إلها تصدر عنه كل الأشياء وسببا وحيدا تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخية والحضارية فيما يسميه بالتفسير المادى للتاريخ . هذه الفكرة سقطت علميا ، والرأى السائد الآن : أنه فى ميدان الظواهر الاجتماعية لايوجد سبب واحد مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة .. فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملا ثانويا فى

الغد .

والعامل الاقتصادى بهذا لايصلح أن يكون إلها تصدر عنه الأشياء ، وإنما هناك العامل القومى النفسى والعنصرى والعقائدى يمكن أن تشكل التاريخ بأقوى مما يشكله العامل الاقتصادى .. وبين الصين وروسيا صراع سوف يشكل التاريخ مع ذلك فهو ليس صراعا طبقيا ولا اقتصاديا ، فالدولتان كلتاهما شيوعية وبقيادة البروليتاريا.

رابعا : كانت دكتاتورية البروليتاريا انتقالا بالمجتمع من ظلم طبقى إلى ظلم طبقى آخر .. وكانت استبدالا للاستغلال الموجود باستغلال آخر أشمل .. وكانت استبدالا للاستغلال الموجود باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأعم .. فقد جاء الحزب الحاكم الجديد وجاء معه بزبانية مراكز القوى ليسجنوا ويعتقلوا ويظلموا ويستبدوا للحفاظ على امتياز الذين تميزوا وسلطان الذين تسلطوا .. وهكذا نقلوا المجتمع من طغيان إلى طغيان أفدح ، وأشاعوا مناخا من الرعب والصمت الرهيب والخرس الذى قطعت فيه الألسن وكسرت الأقلام وكممت الأفواه .. فالصحف جميعا ملك للسادة الجالسين

فى مراكز القوى ، وسياط الرقابة مسلطة على الجميع .

وهذه أمور جربناها واحترقنا بنارها ونعرف تماما ماذا تعنى .

* * *

• د. مصطفى محمود وما رأيك فى أن الإسلام السياسى هو الحل ؟!

•• والله أنا اتفق مع المستشار سعيد العشماوى فى كون شعار «الإسلام هو الحل» شعار فضفاض لايدل على شىء.

طيب ما هو الخمينى رفع نفس الشعار .. والتكفير والهجرة وكذلك شيعة أمل .. وشيعة إيران .. يرفعون نفس الراية ومع ذلك فإنهم يقاتلون بعضهم بعضا .. أليس كذلك ؟! .. فلابد أن تقول لى ماذا تقصد إذن ؟!

• المقصود بهذا المنهج هو الحل لكل المشاكل ؟

•• ماهو إذن المنهج بالتفصيل .. لابد أن نتحدث عـــن المنهج بالتفصيل ياعزيزى ؟!

• لماذا لاتأخذ هذا الشعار على أن الإسلام الأخلاقى هو الحل ؟!

•• ياريت.. ففى هذه الحالة تكون قد شرحت شعار «الإسلام هو

الحل» وحينئذ أيضا لن تقتل شيعة أمل أى شيعة أخرى .. ثم أليس ياعزيزى كل من جعجع وعون مسيحى .. والإنجيل يقول لهما : إن المسيحية هى الحب.

وأحب عدوك ، وإذا ضربك عدوك على خدك فاعط له خدك الآخر أليس كذلك ، فلماذا بربك يقتلون بعضهم البعض إذن ! فلو تحلى المسلمون بالأخلاق فلماذا يقتلون بعضهم البعض .. لماذا يقتلون أنفسهم إذن ؟! إذن المسألة فى حاجة إلى شرح فليس هناك مايسمى «الإسلام هو الحل» لابد أن أفهم قصدك من هذا الشعار أولا .. أما إذا قلت لى أخلاقيات الإسلام هى الحل .. هنا أضع يدى فى يدك وآخذك بالحضن فهذا هو رأيى أيضا إنما أنا ضد العبارات الفضفاضة التى ليس لها معنى محددا!

● هل تعتقد لوأن المسلمين حددوا لهم منهجا محددا لتحقق لهم شعار الإسلام هو الحل!

●● أحسن خدمة للإسلام أن نحدد له منهجا محددا لهذا الشعار «أخلاقيات الإسلام هى الحل» وهذا الشرط سوف يكشف ويفرز الناس هل هم مسلمون حقيقة أم دجالون ؟

هذا هو المدخل الحقيقى .. أما أن تكون الشعارات هلامية وغير محددة فهذا مالا أوافق عليه !

● **د. مصطفي محمود .. بصفتك عالم وطبيب ومفكر .. هل ترى (أسلمة) العلوم؟!**

●● أسلمة العلوم معناها إدخال القيم معها .. يعنى الطب مثـــلا حين تدخل عليه القيم فإنها تهذبه بالضرورة .. فالطبيب لايتحول إلي مشعوذ أو دجال أو تاجر .. والطب الإسلامي حينئذ سوف يلتفت للطبيعة .. ويستعين بالأعشاب الطبيعية والأسرار التى أودعها الله سبحانه وتعالي في العناصر الطبيعية من غير تحضير أو معامل .. هذا هو المعنى .. فنحن نصف وجهة نظر الطب الموجود ولانخلق طبا من جديد .. فليس هناك أسبرين إسلامى وأسبرين مسيحى ولكن كل ما في الأمر أننا حين نقول: «طب إسلامى» فإننا نعنى بذلك إضافة القيم الشريفة .. لكن هناك علوم الإسلام له فيها وجهة نظر مثل الاقتصاد مثلا : لدرجة أننى أستطيع أن أقول لك إن هناك اقتصادا إسلاميا له مناهجه الخاصة به .

● **كيف يرى د. مصطفى محمود الإسلام بصورته الراهنة؟!**

●● تستطيع أن ترى فى صورة الإسلام الراهنة اليوم كـــل ألوان الطيف . ترى صورة الإسلام المستنير المعاصر الممثلة فى شخصيات مستنيرة مثل د. أحمد كمال أبو المجد .. الشيخ محمد الغزالى ود. ابراهيم بدران ود. عبدالعزيز كامل وغيرهم من الكتاب المستنيرين ، وتراه أيضا مجرد قناع مزيف على وجوه الجماعات المتطرفة ، وترى أيضا الإسلام السلبى الممثل فى رجل يصلى ويصوم ويغلق على نفسه الباب دون مشاركة فى الجدل المثار ويكتفى بالإسلام مجرد فرائض .. فكل صور الإسلام موجودة الآن على الساحة .

ونحن فى مسيس الحاجة الآن إلى انتشار صورة الإسلام المستنير بصورة أكبر وأكثر وأعمق .. فهذا هو الحل الحقيقى لكل المشاكل والقضايا .

● **كيف يرى مرصد د. مصطفى محمود .. هؤلاء الكتاب:**

●● **نجيب محفوظ** : عمدة الرواية العربية بلامنازع .. بحكم الكم والكيف معا .. وأروع من صور البيئة المصرية فى أعماله الروائية .

يوسف إدريس : حرفية القصة القصيرة تجدها عند د. يوسف إدريس ولكن عيبه يتضح فى الروائع الاشتراكية التى تعم قصصه والتى أخضع لها جزءا كبيرا من إنتاجه فهو كاتب متذهب لليسار فقد نذر عمره كله لهذا الاتجاه !

أحمد بهاء الدين : من أحسن كتاب العمود الصحفى ولاشك فى ذلك ولديه قدر كبير من الاعتدال ، والكلمة لها حساب فى كتاباته .

أنيس منصور : من الكتاب القلائل الذى تجد لديهم العبارة الشيك فهو ترزى وجواهرجى وعباراته جميلة وهذا مايجعل القارىء حين يبدأ فى قراءته يحرص على أن يكملها للنهاية .. وهذه ميزته الحقيقية .

فتحى غانم : روائى ممتاز .. والبعد النفسى فى رواياته أعمق وأكبر بكثير من غيره من الروائيين .

صلاح منتصر : أعتبره من كتاب العمود الصحفى الممتازين وأضعه بدون شك مع مصطفى أمين وأحمد بهجت وأحمد بهاء الدين فى مصاف كبار كتاب العمود الصحفى .. وهو يتميز بأنه

يصل في كتاباته لأحكام بعيدة فضلا عن أنه متعمق في كتاباته وأحكامه.

● د. مصطفي محمود : كيف يري مصطفي محمود .؟

●● أنا لما أقرأ نفسي أحس أنني ينقصني أشياء كثيرة جدا وأتمني لو أنني أستطيع أن أكتب أو أن أعيد ما كتبته مرة ثانية. وأنا أعتبر كتبي هي تنفسي عبر هذا العمر .. هي الرئة التي أتنفس بها فعلا .. وكل الذي كتبته في مراحل عمري كله تستطيع أن تقول إنها ممثلة في كتبي .

● د. مصطفي محمود ..ألا تري نفسك إنسانا في غاية العجب تحمل عودا ونايا وقلما وسماعة ورأسا مليئا بالأحلام والشكوك والإيمان؟!

●● لا .. لا شكوك الآن مطلقا .. ولكن سؤالك هذا هو في الحقيقة شيء طبيعي بدليل أنك كنت تجد زمان ابن سينا هكذا : شاعرا وأديبا وطبيبا وفليسوفا ومؤلفا وكيميائيا، وكنت تجد كل القمم في العصور السابقة هكذا .. مثلا .. محي الدين بن عربي .. أعجوبة .. أسطورة تدعو إلي الإعجاب والانبهار .. فكيف

أصبحت لدى هذا الرجل كل هذه المعارف ؟ إنه دائرة معارف تقف علي قدمين !

● وهل تجد لديك الوقت الآن لكل هذا ؟؟!

●● ربنا يبارك فى الوقت .

● فى قصة «أولادى» التي نشرتها عام ١٩٥٥ كان لك رأى غريب فى الزواج بالمتعلمة يقول :

«إن المرأة المتعلمة إبليس لأنها تجعل في البيت رأيين وسيدين» .. فهل مازلت عند رأيك حتي الآن ؟!

●● أنا لا أريد أن أتحدث بصفة مطلقة .. ولكن هذا نوع من المرأة المتعلمة .. لأن لونا واحدا منها هو اللون الجدلي وهى التى تقول لك : رأسي برأسك ، وتكون النتيجة أن الحياة تصبح جدلا .. فمن الصعب أن يمسك الاثنان بالدفة وإلا تكون الحياة صعبة وقاسية وليست بها نهاية .. وليست كل امرأة هكذا .. بالعكس هناك الإنسانة المتفاهمة .

● د. مصطفى محمود .. ما أغرب وأعجب عالم الطب ، فقد تخرج فيه الممثل والمنولوجست وقارئ القرآن ورجل الاقتصاد

والروائي والشاعر .. فقد تخرج فيه الشاعر إبراهيم ناجي والروائى يوسف إدريس والقارئ أحمد نعينع والممثل يحيى الفخرانى ورجل الاقتصاد الشهير حافظ عفيفى وحتى فريق «الفور ..إم» الغنائى خرج من «بالطو» الطب الأبيض ؟!

●● كلهم خرجوا من البالطو الأبيض ، والسبب فى ذلك كله يرجع إلى الوقفة أمام الموت .. فأقرب إنسان إلى الميت هو الدكتور .. كلهم يفرون من الموت حتى الأقارب وأقرب المقربين ! والطبيب هو الوحيد الذى يحضر .. يحضر الميلاد والوفاة .. الطبيب أول من يستقبل الإنسان فى الوجود وآخر من يودعه من الوجود ! .. إنها لحظات رهيبة يخرج منها الموسيقار والشاعر والمنولوجست والراقص والقارئ للقرآن .

● **ما هى بداية صلتك بالموسيقي ؟**

هل هى حين كان والدك يحول الأرقام الحسابية إلى نغمات جميلة وهو يراجع أعمال الموظفين وحساباتهم فى طنطا ؟.

●● يجوز ذلك فقد كان والدى ينغم دائما الأرقام الحسابية ، ولكن أنا أعتقد أن البداية كانت مع السيد البدوى .. مع التواشيح

والطبلة والبنادير الكبيرة التى تصاحب أهل الذكر .

● وهل هذا كان السبب الأساسى فى دخولك عالم التصوف ؟

●● من الجائز أن المتصوف جاء فيما بعد .. لكن كان من المؤكد أن هذه البداية مع الموسيقى وأنا أعزف «فلوت» .. وكنت عاشقا للناى .

● بمناسبة الناى .. ما هو سر عزفك للناى أثناء الحرب العالمية الثانية وكنت تقف فى النافذة تعزف الناى والدنيا ظلام أثناء الغارات ؟! هل هو محاولة الشعور بالأمان والشاعرية وسط هدير المدافع ؟.

●● أثناء الغارة تكون الدنيا كلها ظلاما وسكونا وهدوءاً ، أنت لاتتصور السكون الرهيب أثناء الغارة وهذا أنسب وقت لعزف «الناى» قبل دخول الطائرات .. هذا هو السبب !

● وكيف بدأت إذن علاقتك بإحياء الأفراح فى درب البغالة ؟ هل من خلال تعرفك بعبد العزيز الكمنجاتى الذى دعاك إلى مشاركته فى إحياء الأفراح ؟ هل ساعدتك هذه الفترة على تمثل الشخصيات الإنسانية والشعبية فى أعمالك ؟.

●● كنت فى نهائى كلية الطب أيامها . وكنت قد تعرفت على

عبد العزيز الكمنجاتى ، وكان يصحبنى إلى الأفراح ثم بعد ذلك كان المتعهد يأتى إلى البيت وتفتح له والدتى فيقول لها :

قولى للدكتور : فيه فرح النهاردة فى المكان الفلانى !

وكانت والدتى بالطبع تعنفنى كثيرا على ذلك .

وذات يوم كنت أحيى فرحا على سطح أحد المنازل وكان هناك طلبة يستذكرون دروسهم على سطح مقابل لهذا المنزل فوجدت زميلا لى فى الكلية . وهو د. كمال الجوجرى الذى اشتهر فيما بعد بالإبر الصينية وكان وقتها طالبا يقول لى من على السطوح المقابل :

أيوه يا دكتور .. حلو يادكتور !! .. وفى الصباح طبعا كانت كلية الطب ليس لها سيرة إلا أن مصطفى محمود كان يحيى فرحا بالأمس !

● **أنا لا أتصور مطلقا– ومعى القراء بالطبع–أن د. مصطفى محمود يمكن أن يغنى أو يعزف وراء راقصة فى فرح !**

●● هذا تاريخ قديم حدث منذ أربعين عاما !

● **د. مصطفى محمود .. ربما تكون أنت من الكتاب النادرين الذين**

تأتيهم الفكرة وهم نائمون أو ما بين اليقظة والنوم .. مثل «العنكبوت» و «الخروج من التابوت» .. كيف ؟!

●● قصة «العنكبوت» جاءتنى كلها بين النوم واليقظة فقمت على الفور وأحسست أنها مسجلة فى شريط بأكمله . وقمت من نومى وكتبتها فى جلسة واحدة تقريبا .

● **د. مصطفى محمود .. كنت وأنت صغير أثناء الأمطار الغزيرة فى فناء المدرسة الابتدائية تصنع مراكب من الورق وتسيرها فى المستنقعات الصغيرة وتتخيل أن هذه المراكب ذهبت إلى الهند وعادت وعليها بخور وعاج ومسك .. بعد ٦٠ عاما من ذلك .. هل نجت مراكبك من بحور الشك ؟!**

●● مراكبى الآن لاتحمل أى شك..بل إننى أشعر بالاستقرار والسكينة العميقة الخالصة .. أستطيع أن أقول لك إننى متأكد من وجود الله سبحانه وتعالى أكثر من وجودك أنت !

● **د. مصطفى محمود .. وصفت عصرنا بأنه عصر الجنون .. هل نحن حقيقة نعيش عصر الجنون ؟.**

●● نحن نعيش تناقضات غريبة فالإنسان الذى وصل للنجوم

ووضع قدميه على القمر ، وفى نفس الوقت غير مؤمن لمس له تفسير سوى أنه لديه انفصام .. انفصام عقلى !

● **د. مصطفى محمود .. بعد هذه التجربة العريضة الثرية .. كاتبا ومفكرا وعالما .. ما هى الحكمة التى تؤمن بها ؟.**

●● لقد مررت بمراحل كثيرة فى حياتى .. والآن لاأريد شيئا .. فلو قلت لى ماذا تريد ؟. أو ماذا تود أن تقابل الله سبحانه وتعالى فبماذا تقابله ؟ وبأية صفة ؟ ..

فأنا لا أريد أن أقابل الله بصفة الفنان أو الصحفى أو المؤلف أو المفكر .. لكن أريد أن التقى بوجهه عز وجل كجندى من جنود كلمة لا إله إلاالله .. كخادم لكلمة لا إله إلا الله.. وأن يتقبلنى.. إنه الغفور الرحيم .

الفهرس

صفحة

١٩٩١ / ٣٧٦٩

977 U 264 U 052 U X

هـذا الكتاب

الكاتب الكبير مصطفى محمود يرسم لأول مرة خريطة لأعماقه .. ويسمح بالدخول فى منطقة من حياته مكتوب عليها لافتة كبيرة (ممنوع الاقتراب والتصوير) .. منطقه من حياته لم يتجول فيها أحد من قبل لأنها (منطقة الغام) ويفتح صندوقه الأبنوسى للكاتب الصحفى المعروف محمود فوزى ليستخرج منه لفائف الذكريات التى تنشر لأول مرة ..

ما هى تجربته الحقيقيه مع الشك ؟!

وكيف تعلم الشك على يدى شيخ سيدى عز بطنطا ؟!

ولماذا قال له هيكل بعد عام من رفضه : إيه انت إستويت ؟!

ماهى تجارب مصطفى محمود فى الحياة

ولماذا تزوج مرتين وفشل فى زواجه فيهما

أنه كثيرًا ما يضع حلولاً للمحبين والمتز

إنها إعترافات مصطفى محمود ..

